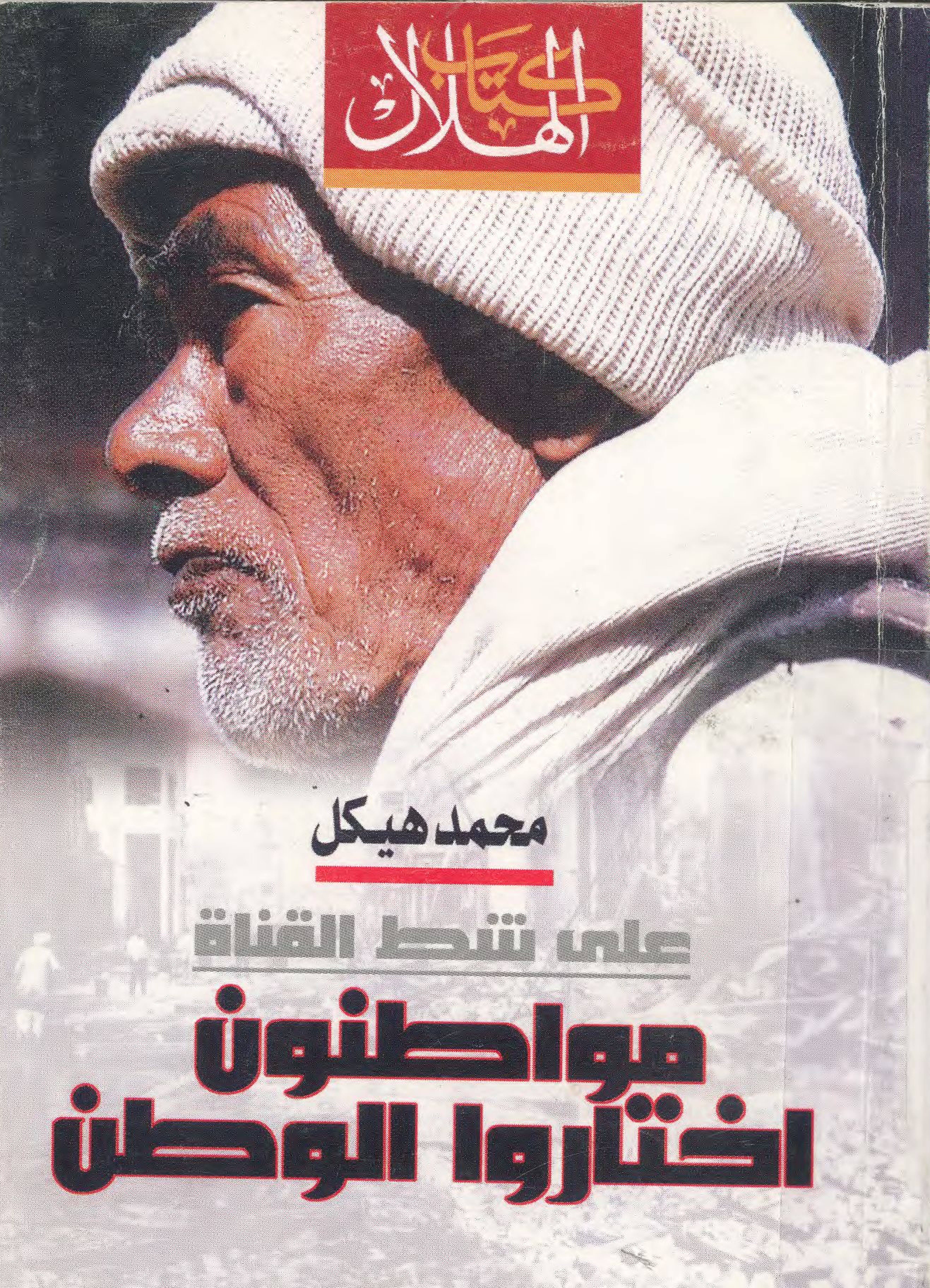


كتاب الهلال
محمد هيكل
على شط القناة
مواطنون اختاروا الوطن

كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن مؤسسة دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة
عبد القادر شهيب

رئيس التحرير
مجدى الدقاق

المستشار الفنى
محمد أبو طالب

مدير التحرير
عادل عبد الصمد

سكرتير التحرير
أحمد شامخ

العدد ٦٦٧ - يوليه (تموز) ٢٠٠٦ م
جماد الأخر ١٤٢٧ هـ - أبيب ١٧٢٢ ق





الإدارة

القاهرة . ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت: ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط) . المكاتبات: ص . ب: ٦١ العتبة - القاهرة . الرقم البريدى ١١٥١١ - تلغرافيا: المصور - القاهرة ج . م . ع.

تلكس :
Telex 92703 hilal u n

فاكس :
FAX 3625469

البريد الإلكترونى :
darhilal @ idsc. gov. eg

ثمن النسخة : سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - الأردن ٢٠٠٠ فلس - الكويت ١٢٥٠ فلسا - السعودية ١٢ ريالا - البحرين ١٫٢ دينار - قطر ١٢ ريالا - الإمارات ١٢ درهما - سلطنة عمان ١٫٢ ريال - اليمن ٤٠٠ ريال - المغرب ٤٠ درهما - فلسطين ٢٫٥ دولار - سويسرا ٤ فرنكات

على شط القناة

مواطنون اختاروا الوطن

محمد هيكل

دار الهلال

الغلاف للفنان :

محمد أبو طالب

الخطوط للفنان:

محمد العيسوى

إهـــداء

إلى :

أمى دولت

وأبى حسن

وقـد غـرسـا فىّ حب هذه الأرض ، وأرضـعـانى المقاومة كقيمة أصيلة فى الحياة.

وإلى

شريكة عـمرى «سميرة» التى تحملت بشجاعة عواقب مقاومتى ، ودفعتنى دفعا إلى ما أنا عليه من عناد .. فضلا عن إنتاجها «شادى وأحمد» وقد جلب لنا الأول بالخير «إيناس وسلمى» .

وإلى

مـواطنـى مصر الذين اختـاروا الوطن .. وانحزت لهم .

أهدى هذه الأوراق

محمد هيكل

مقدمة

تاريخ المدن الثلاث (السويس والإسماعيلية وبور سعيد) حيث معاناة ناسها ، وشعبها ، تمثل لوحة شديدة الإخلاص فى الانتماء ، وإن كانت شديدة الدراما فى الوقت ذاته ، ويمكن أن يطلق عليها : تراجيديا الإنسان المصرى على شط القناة..

وعندما يؤرخ لهذه المنطقة الساخنة والملتهبة سوف تذكر الحقائق الدالة ، بل والمؤكدة ، على روعة الإنسان - هنا - فى صراعه المرير مع الطبيعة ، ومع الاستعمار.

وصراع الطبيعة هنا يتأكد من خلال ملحمة الإنسان المصرى فى حفره لقناة السويس ، بشكل بدائى ، مائة وخمسة وعشرون ألف من المصريين، يساقون «سخرة» للحفر، فيختلط العرق بالدمع بالدم ، فى لوحة شديدة الدراما .

ويأبى الاستعمار أن يسلم بأن الأرض مصرية خالصة ، والدم مصرى ، والدموع مصرية ، والعرق مصرى ، لذلك ، فقد شهد «كتاب الحرب» بين المصريين والمستعمر ، فصولا كاملة ، من المقاومة والصمود والحصار والتصدى .

لم تلن عزيمة الناس هنا ، وآلاف الأسماء «شهداء» أحياء عند ربهم يرزقون ، وأحياء أعطاهم الله الصحة جزاء ما قدموا للوطن من مقاومة وعرق وصبر ، كلها تؤكد الملحمة.

وإذا كان نضال الإنسان المصرى فى هذه البقعة العزيزة والغالية ، قد بدأ فى ١٨٥٩ ، سنة حفر القناة ، فقد شهدت ملحمة أشد قسوة وخطورة وفداء وتضحية مع عمليات السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، بما تحمل من تفاصيل كثيرة يضمها كتاب البشر على هذه الأرض .

وقد عشت أعواماً فى هذه البقعة ، أبحث وأنقب وأفتش وأستمع ، وأناقش وأحلل ، سعيا وراء الإنسان «البطل» صاحب الملحمة ، أناس عاديون ، صمدوا ، ولم يكن طموحهم يزيد عن «النصر» المجرد لحساب الوطن.

وأسجل هنا : أنهم - أى أبناء هذه الملحمة وتلك البقعة - خجلوا من التحدث عن بطولاتهم بل كم كان السؤال استفزازيا ، لقد قالوا : «كنا نعمل لحساب الوطن ، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا» !!

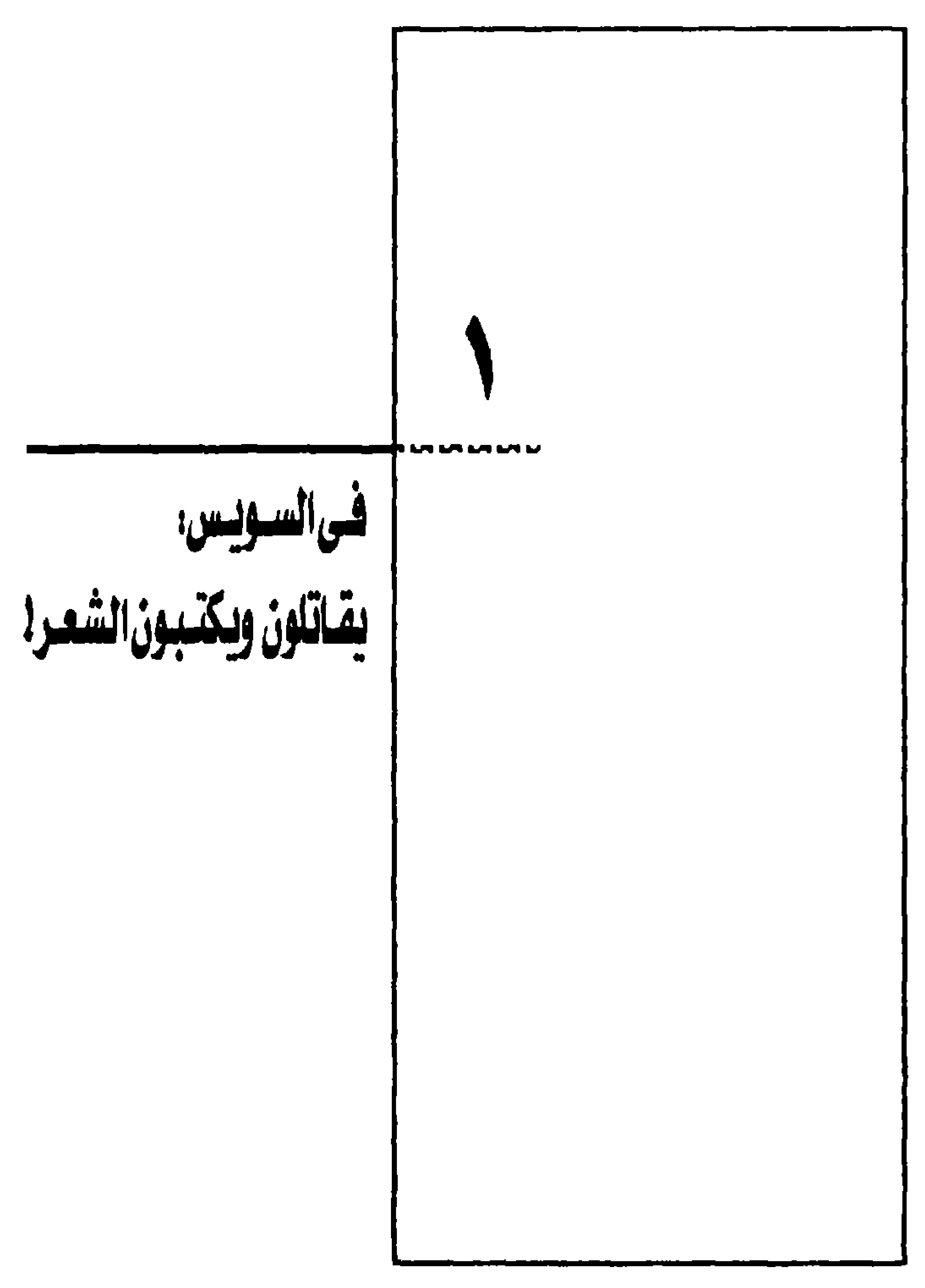
وإذ أقدم هذا الملف الإنسانى ، من كتاب البشر، الذى يضم تراجيديا الإنسان ، فى منطقة القناة ، والذى حاولت فيه أن ألم بالتفاصيل الإنسانية ، بدءاً من تلك الأم التى كانت تطعم الجنود باعتبارهم أبنائها ، إلى الرجل الذى كان يقتسم «بلحة» مع خمسة «أنفار» فى ظلام الخندق..

كما أقدم نموذجا إنسانياً ، لرجل عاش سنوات ست يشحذ همم الرجال ، ويقدم تجربة فريدة فى عالم المقاومة الذاتية إسمها «ولاد الأرض» .

وآخرون يضمهم هذا الملف الإنسانى أو ما يمكن أن نطلق عليه «الوجه الإنسانى لأكتوبر» .

□□□

وسنبدأ الرحلة الإنسانية من السويس الصامدة إلى الإسماعيلية المكافحة .. وصولا إلى بور سعيد الباسلة .



١

فى السويس: يقاتلون ويكتبون الشعر!

السويس .. مدينة مصرية خالصة ، تحتضنها في جلال جبال عتاقة من الغرب ، شاهد عيان على هذه المدينة الصامدة ، صاحبة ملحمة أبنائها الصامدين.

تطل السويس على أفق معبق بحضارة فرعونية أصيلة، على خليج السويس في رحلته إلى الجنوب ، نبع الأصالة الإفريقية ، وتلتقي على أرضها الحضارات الإنسانية من خلال قناة السويس التي ربطت شمال العالم بجنوبه ، كما التقت الأديان - على ترابها - وارتبط الكفاح المصري بالكفاح العربي والإسلامي.

وكانت السويس على مدى تاريخها مسرحا لأحداث ملأت سمع الدنيا ، وبصلابة عودها ، وصبر شعبها ، استطاعت أن تتحمل ، وتصمد ، وتتخطى كل العقبات ، وسجلت ما لا يقوى التاريخ على نسيانه وبقيت السويس هي السويس !

وامتازت السويس - في الجغرافيا - بأنها جمعت كثيراً من الخصائص النادرة ، فكما أنها ميناء بحري على البحر الأحمر ، فهي - أيضاً - ميناء بري على الصحراء ، وقلعة عسكرية للدفاع عن الوطن ، ثم هي كانت ولا تزال ، معبرا بشريا لضيوف الرحمن في رحلة الحج إلى الأراضي

الحجازية، وعلى عتبتها «انتهت» المغامرة الفاشلة لإسرائيل في العام ١٩٧٣.

والسويس «فاتحة» كتب التاريخ ، والتي تحتل فصلاً هاماً من «كتاب الحرب» هي ذات موقع استراتيجي ، ذي صبغة عسكرية عبر كتاب التاريخ . وأقوى حصون الحائط الملكي منذ عهد الفراعنة ، ومسرح المعارك الفاصلة في تاريخ مصر، قديمه ، وحديثه.

وقد بدأ وجود السويس - كما يقول المؤرخ جيمس برستد- منذ فجر التاريخ ، إذ أن الأسرتين الخامسة والسادسة من الدولة الفرعونية القديمة (٢٥٦٣ - ٢٣٠٠ ق.م) قد أقامتا استحكاماتهما في قلعة السويس لصد المغيرين ، حيث سميت آنذاك «سيكوت» وذلك لكونها ميناء على برزخ السويس الممتد في هذه الفترة.

وعندما أصبحت «مدينتنا الصامدة» عاصمة للإقليم الثامن من أقاليم الوجه البحري في العصر الفرعوني أطلق عليها «بيثوم» إبان حكم الأسرتين ١٩ ، ٢٠ .. وقد اتخذ فرعون مصر آنذاك «يو - سفايس» منها قاعدة لعملياته الحربية،

لتأمين مناجم سيناء ، ويرجع - على الأرجح - تسمية السويس على أسمه !

□□□

وأثناء حكم اليونانيين لمصر ، أطلقوا عليها «هيرو بوليس» ومعناها «مدينة الأبطال» .. ثم تغير اسمها إلى «كليزما» ومعناها باليونانية «نهاية الطريق» وعندما حكمت كليوباترا مصر أطلقت عليها «كليو باتريس» .

وفى العصر الرومانى ، أطلق عليها «هيرو - آوى» أى «مدينة الشمس» .. وفى العصر البيزنطى أعيد آسمها «كليزما» .. حتى جاء العرب وحرفوا هذا الاسم إلى «القلزم»..

فى القرن التاسع الميلادى ، أصدر خمارويه بن أحمد بن طولون (٨٦٤-٨٩٥م) أمرا بإلغاء الأسماء القديمة ، وأطلق عليها «السويس» الذى لا يزال اسم المدينة الصامدة إلى الآن.

وفى القرن العاشر الميلادى ، أنشأ الفاطميون ضاحية جديدة جنوب غربى مدينة القلزم ، أطلق عليها السويس ،

ما لبثت أن ضمت إليها القلزم القديمة ، التى حلت محلها ، وأصبحت ميناء مصر على البحر الأحمر.

□□□

وفى ٢٥ أبريل عام ١٨٥٩ ، بدأ حفر قناة السويس ، والتى سال فيها دماء ١٢٥ ألفا من المصريين ، حيث دفنوا فيها بسياط السخرة ، بلا أكفان (!!) إلى أن أفتتحت فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٨.

وتاريخ السويس - فيما بعد - هو تاريخ مصر ، وهى تمثل كتيبة متقدمة من كتائب النضال المصرى ، ولعل ما حدث فى كفر أحمد عبده (طريق القاهرة - السويس) عند الكيلو ٩٩ ، يعد شاهد عيان قوى على تجبر القوى الاستعمارية ، ممثلة فى البريطانيين حينما دمروا «هذا الكفر» فى العام ١٩٥١ ، نتيجة تصدى الفدائيين لإرهاب الإنجليز ، فكان الجزاء التدمير الكامل ، سوف تظل «مثل هذه القرية كمثل دنشواى منقوشاً على صفحات قلوب المصريين أثراً باقياً للفظائع وأعمال الظلم والجبروت التى ارتكبها الاحتلال البريطانى فى أرض الوطن».

وفى اطار تتابع التاريخ ، تدخل معركة السويس ١٩٥٦ ، لتشكل فصلا من كتاب الحرب والنضال للشعب المصرى ،

وقد نظر المعتدون إلى السويس - نظرة مغايرة - فى خططهم الحربية ، إذ أنها - أى السويس - قاعدة رئيسية لتموين حامية شرم الشيخ وجزر سنافر وتيران وميناء الطور. كما أنها تزخر بمعامل تكرير البترول واستخراج مشتقاته..

وبالإستيلاء على السويس ، تصبح قاعدة للزحف إلى الغرب نحو القاهرة ، لكن قذائف مدفعية السواحل المصرية كانت بالمرصاد للسفن المعادية ، كما تصدت المدفعية المصرية لطائرات العدو ، والمقاومة الشعبية جاهزة «للقنص» وفشلت القوى المعادية فى الاستيلاء على المدينة ، كما فشلت فى حربها بشكل عام .. وكان النصر ، إنطلاقة كبرى للشعب العربى فى مصر ، إلى أن جاء ٥ يونيو الحزين.

□□□

وبحلول ٥ يونيو من العام ١٩٦٧ .. يبدأ فصل جديد ، من كتاب الحرب .. فقد كانت مصر «المتوهجة» .. الماضية قدما فى طريق البناء والتنمية .. مصر عدم الانحياز ، وحركات التحرر فى أسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، مصر الكتيبة المتقدمة فى مواجهة صلف الإمبريالية العالمية.. يأتى الخامس من يونيو .. ليوقف طلائع التقدم.

والتساؤل كيف حال مدينتنا السويس ؟ كيف حال شعبها وهى فى قلب المعركة ؟!

وللإجابة على التساؤل .. أقدم شخصية سويسية قلبا وقالبا .. لا يمكن للمرء أن يزور السويس دون أن يلتقى به.. وإلا فاته كل شئ ، رائحة التاريخ ، روح المقاومة .. إمكانيات المبدع فى مختلف المجالات .. صديق السوايسة على اختلاف مشاربهم واعتقاداتهم ورؤاهم !!

الرجل اسمه كابتن غزالى .. واحد ممن صنعوا روح المقاومة ، وصاغوها فنا رفيع المستوى ، حتى أصبح واحداً من الأسلحة الهامة فى سنوات الصمود والاستنزاف «٥ يونيو ١٩٦٧ - ٦ أكتوبر ١٩٧٣».

وإن كان يبادرنى . «أنا مواطن من المواطنين المصريين ، شأنه شأن الملايين من أبناء الوطن الغالى ، مجرد واحد من آلاف السوايسة ، الذين لا يبخلون بما يعرفون ويعلمون ، عندما يكون الوطن فى حاجة إلى جهدهم.

ويؤكد الرجل (٧٠ سنة) . «ماكنتش فى يوم أحلم بنشان .. ولا حتى يوم يبقى لى شأن !! إنما ما أؤمن به وأعتقده : بأن قيمة الإنسان هى فى قيمة دوره فى الواقع ،

كما أنه لا شئ فى الدنيا يعوض عن قيمة «إنك حى وعايش خصوصا إذا كنت سويسيا»!

وغزالى - الذى يتنفس السويس ولا يستطيع أن يغادرها إلى أى مكان فى الدنيا ، لأنه فى ذلك مثل السمك ، إذا خرج من الماء : مات !!

□ أسأله عن السويس صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ ؟

□□ كانوا الناس قد علقوا الورود على رقاب المدافع .. فضلا عن أنهم كانوا يغنون للجيش المصرى.. مأخوذين فى ذلك بالتصريحات التى أعلنت ، لأن المسألة عبارة عن ساعات ونسمع صوت الراحل العظيم من تل أبيب !

بهذا التفاؤل كان الناس عايشين ، وفاتحين بيوتهم للجيش، تساعده ، وتدعمه فى كل شئ !

لكن فى ظهر يوم ٥ يونيو ، ولأن السويس الأقرب إلى سيناء ، لا يفصلنا عنها سوى ١١٠ كيلو مترات هى عرض القناة .. فقد عرفنا قبل غيرنا ، بالهزيمة الكاسحة !

والسويس - والكلام مازال للغزالى - مدينة متفردة ، حظ المواطن فيها كبير ، لذلك شهدت سنوات الستينات توهجا ، أفرز نشاطا ثقافيا وسياسيا واجتماعيا ، فضلا عن

«البسطة» فى المعيشة ، لذلك لا تجد هناك أزمات بطالة ٩٠٪ من أهلها يعملون فى البحر ، ويحتكون يوميا بالحضارة، كل ذلك جعلها - دائماً - مدينة متوثبة ، وقد تواصل ذلك مع تاريخها . إنها مدينة فى مقدمة المدن المصرية المعرضة دوما للترور الاستعمارى.

□ كابتن غزالى : ما حدث فى ظهر يوم ٥يونيو ١٩٦٧ فى السويس ، سوف يظل محل تقدير ، وإن كان يحتاج لدراسة ، وتقييم ، وتحليل، ذلك أن تجربة السويس هى فى الواقع تجربة شعب ، وتجربة عمل وطنى ، أعتقد أنه مازال صالحا لتطبيقه لدى كل الجماعات التى تحب الوطن.

هل أوضحت لنا ، كيف استقبل شعب السويس الهزيمة ؟ وماذا فعل الشباب السويسى إزاء ذلك ؟ هل لطم الخدود ، أم تحرك فى اتجاه ثان !؟

□□ يقول: الناس فى السويس - كانوا - مهيئين لرفض الاعتراف بالهزيمة ، وبدءوا على الفور فى التعامل مع الجيش، باعتبار أنهم «أولادهم» .. وأنهم «خدعوا» .. شأنهم

فى ذلك شأن الشعب المصرى ، وأنه لم يقدر لهم أن يحاربوا أو يواجهوا .

وقد بدأ مجموعة من الشباب السوايسة تفكر بسرعة - فى وقت تعطل فيه التفكير على المستوى الرسمى - كيف نعمل على ألا تسيطر الهزيمة على الناس ؟

إذن علينا أن نكوّن «مجموعة إعلامية ترمى كلام وسط الناس» ، خصوصا وأن هناك فرق كبير «بين النصر العالى الصوت ، والهزيمة التى تراها العين»!!

وكونا لجنة أخرى ، بدأت تدعو إلى «تجييش» المدينة وانطلقت مجموعة من الشباب تهيئ المدارس لاستقبال «العساكر الشاردة» فضلا عن حمل المصابين إلى المستشفيات للعلاج.

إذن لا بديل عن المقاومة .. سيما وأن معظمنا كانت له سابق ممارسة فى حروب ٤٨ ، ٥١ ، ٥٦ ، فضلا عن تجربة السويس المريرة مع الاستعمار ، حيث كان يسكنها فى العام ١٩٥١ نحو سبعة آلاف أسرة بريطانية.

بهذا الوعى . انطلق كل الناس ، فى حالة من حالات الإصرار والاستماتة فى الدفاع عن المدينة ، ولم يكن أمامنا سوى «تجييش» الناس ، وفضلا عن اللجان السابقة ، شكلت

لجان تبحث عن العساكر الشاردة فى تيه سيناء ، وذلك من خلال شباب يعرف دروب سيناء جيدا .. وتسليمهم لوحداتهم.

ظلال ٥ يونيو كثيفة !

لذلك علينا أن نفكر بشكل استراتيجي لمعايشة هذه الظروف ، لأن الحرب لن تنتهى فى يوم وليلة .. إذن لابد من تدريب الناس على السلاح ، لذلك كانت كل شوارع السويس فى فترة وجيزة «مجيشة» .. وفى مواجهة مع الإسرائيليين على طول ضفة القناة برغم آلياتهم وإمكانياتهم.

بدأنا فى نظام إعلامى ، بشرط أن يكون للناس - هنا فى السويس - دور المشارك فى الحوار ، شرحنا فيه أبعاد المسئوليات الملقاة على عاتقنا - والتى تحملها الأيام القادمة وتدبرنا سويا مصير السويس- خصوصا وأن الإعتداء الاسرائيلى كان يوميا على المدينة ، سيما وأنه لا يوجد حدود بيننا وبينهم سوى عرض القناة ، هنا ، فإنه لا يوجد محل «لصفارة الإنذار» لأنه فى «ثانية واحدة» كنا نجد الطائرات فوق رؤوسنا !!

□□□

لقد باتت المدينة كلها تحت الخطر ، فكان لابد ، وتبعا لذلك، أن يكون عملنا فى هذا المستوى من المسئولية ، لذلك

فقد استجاب الناس لدعوتنا ، بل أكثر من ذلك ، فقد قام الشباب السويسى بعمليات فدائية على جانب كبير من الشجاعة والإقدام ، مثلما فعل محمد عبد ربه ، الذى سبح فى القناة وأبطل مسرحية اسرائيلية كانت تستهدف الاستيلاء على نصف القناة الشرقى ، بأن أبطل قناديل كان قارب اسرائيلى يقوم من خلاله بتثبيت علامات .. بل أنه أسر الجنديين[1].

□□□

□ من الواضح يا كابتن غزالى .. أن أشكالا متعددة من المقاومة ، قام بها الشباب بقيادتك .. حدثنا إذن عن التجربة الإبداعية والفنية التى صاحبت المقاومة ، والتى استهدفت - بالأساس - تنمية عناصر المقاومة الذاتية عن طريق الفن ؟

□□ بداية : معروف عن السويس أنها مدينة تغنى ، فضلا عن كونها مدينة فلكلورية ، ولأن الفن واحد من الأسلحة الخطيرة جداً ، فى تنمية عناصر المقاومة الذاتية ، لذلك كان يلزم استحداث أشكال من الإبداع تعايش الناس ، *خاصة «الغنوة» بشرط أن تحمل مضامين تساعد الجندى*

على أن يعيش حياته «كإنسان» على أن تتحول «الحبيبة» إلى «وطن» وإلى «كرامة».

هذا فضلا عن دورنا فى إعلام الوطن بكيفية أو بأخرى ، بالواقع الموجود فى السويس ، كنا نستهدف من تجربتنا الفنية «تجييش الوطن كله» لمواجهة هذا العار الذى فرض علينا.

هنا ظهرت فرقة «ولاد الأرض» التى أنتجت ٤٨٣ نصا خلال ست سنوات ، هى وثائق فى السياسة ، والعمل الوطنى ، فضلا عن أنها كانت ظاهرة حقيقية للمقاومة ، من خلال توظيف الأدب الشعبى مستهدفة إعادة صياغة الوجدان المصرى ، من خلال رفض الهزيمة ، وعدم الاعتراف بالأمر الواقع.

غنينا الذى يجب أن يكون .. وليس ما هو قائم .

أبوح يا أبوح

دم البلد مسفوح

ياصاحب البقرة

يازارع الشجرة

تطرح وتديهم

والطمر فيهم
باعونا للكفرة!
وقلنا :
ما تقوليش
ماتعدليش
حل واحد غيره مفيش
لأجل ولادنا الجاية تعيش
الحرب الحرب .. وغيره مفيش
قوة أمريكا
أمور بولتيكا
حلف الأطلنطي مايهزمنيش!

□□□

من هنا كانت الأغنية هى الوسيلة المتاحة - كما يقول كابتن غزالى - بعد أن احتل الجيش المصرى مواقعه ، وجدد دماءه وأصبح هناك «تراشق» بين الطرفين ، أو ما سمى بـ «حرب الاستنزاف».

كان علينا أن نصبح فى خدمة القوات المسلحة ، وأن نحرس المنشآت وأن نغنى.. أى أن الموقف كان يستلزم أن

يكون لنا معايشة حضارية ، نقرأ ونكتب ونرسم ونمثل ونغني ونرقص ، فضلا عن أننا نحارب!

وقد أفرز هذا الإبداع مسرح الخندق ، وسينما الخندق ، وعنوة ولاد الأرض.

□□□

□ويماذا تفردت ولاد الأرض؟

□□ تفردت بالغنوة الجماعية ، التي يمكن ترديدها بأي مجموعات ، وبأي أصوات ، فضلا عن أنها كانت تقوم بنقل أخبار الاستنزاف من الجبهة إلى باقي الوطن عن طريق «الغنوة»!

بل لا أغالي - والكلام لغزالي - إذا قلت أن أغنية ولاد الأرض كانت عبارة عن «منشور سياسي» يحمل تعبيرات الناس ، ولغتهم ، ومقولاتهم ، ويحملها مضامين تدفع إلى الصمود ، والمقاومة الذاتية .

مش هانسلم

لا .. لا

رأي الشعب صاحب الحق

رأيه قاله وعالي

عالي .. عالي .. عالي

يوم ٩ ، ١٠ يونيو

دفع ثمنهم غالي

مش هانسلم

لا .. لا

□□□

الغنوة هنا تحرض على عدم الاستسلام ،ورفض الهزيمة والسير قدما فى طريق النضال.

وفى المشوار .. مشوار الصمود على أرض السويس كانت أغنية ولاد الأرض ، دافعة للصمود ، متفائلة واثقة ، تحلم بغد يحمل نصرا حتميا :

فات الكثير يا بلدنا

مابقاش إلا القليل

أحنا ولادك يا مصر

وعينيك السهرانين

نصرك أصبح نشيدنا

واللى يعادينا مين

بينا يالا بينا

نحرر أراضينا
وعظم أخواتنا
نلمه .. نلمه
نسنه .. نسنه
ونعمل منه مدافع
وندافع
ونجيب النصر
هدية لمصر
نكتب عليه أسامينا !!

□□□

□ كابتن غزالى : كنت أنت الشاعر والملحن والموزع والقائد ، فى تجربة ولاد الأرض .. هل هذا صحيح ؟

□□ كنا تجمع واحد ، متفاهم ، أحلامه واحدة ، وموقفه واحد ، لذلك يمكن أن تقول أن «ولاد الأرض» كانت تجربة جماعبة إلى حد الشيوع ، أى واحد يمكن أن يؤلف ، أو يكتب ، أى واحد يمكن أن يلحن ، والحقيقة الثابتة فى هذه التجربة ، التى انطلقت مع طلقات المدافع ، أن الغنوة كانت

تستلهم من الواقع ، وأكـتـبـها كـشـاعـر وأطرحـهـا - فى الحنذق - للمناقشة .

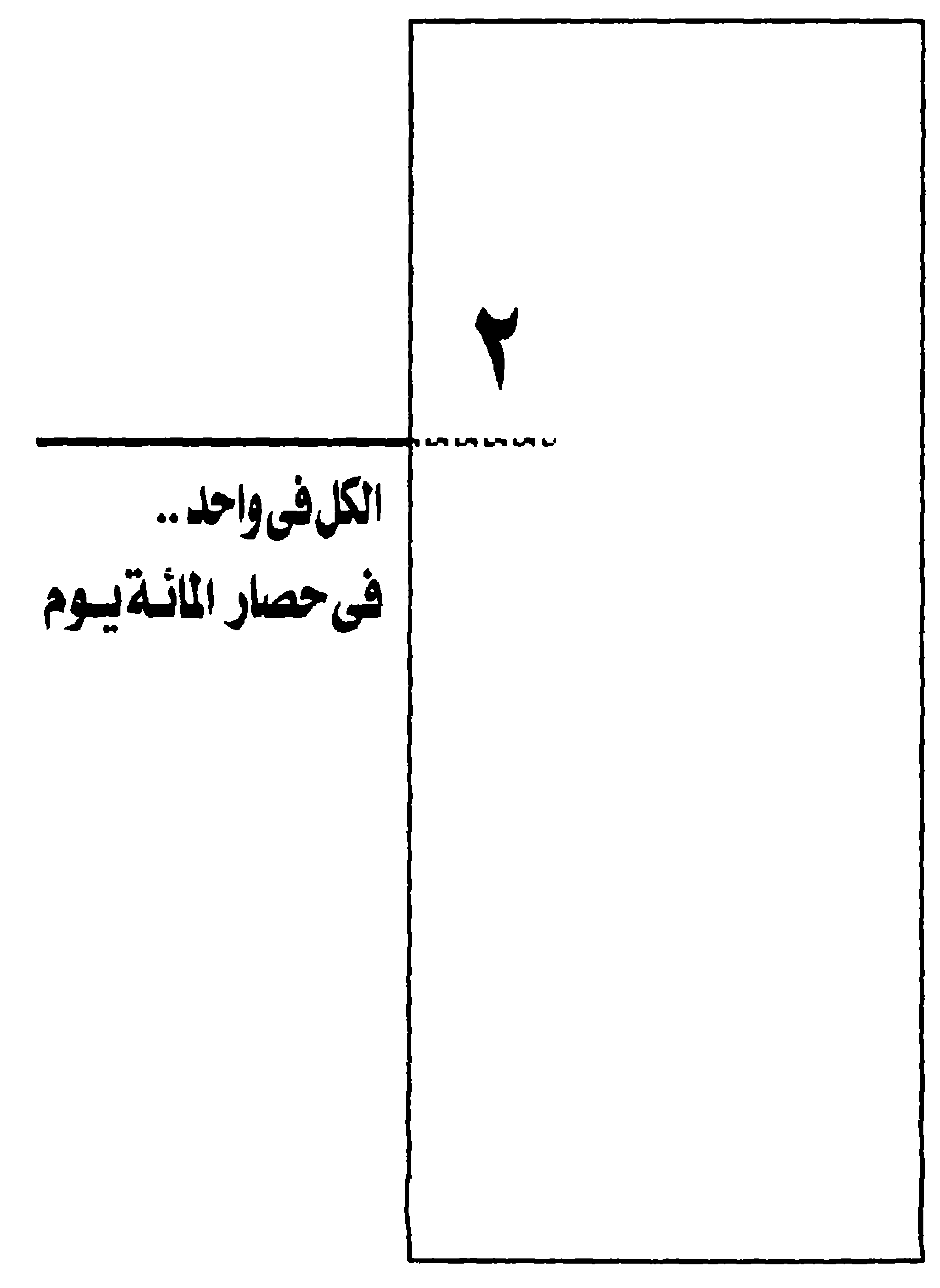
كما أن الظرف كان يملي علينا شكل الكتاب ، وكان من حق كل واحـد فى الجـبـهـة أن يقـول (فـرد فى المقـاومـة - طبيب - عسكرى ضـابط) .. من هنا خرجت التـجربة بشكل ديمقـراطى ، ولم تكن الغنوة - هنا - تطريبـيـة . إنما كـانت تعـبـيـرية ، لبـعث الهـمـة والحـمـاس بين الناس «عـسكريين ومدنيين».

□□□

كانت سنوات ست عاشتها السويس تجارب وتغنى ، وأى شعب هذا الذى يغنى للنصر ، وهو مـهزوم ، وأى شعب هذا الذى أنتج أعظم أنواع الأدب والفن فى سنين الهزيمة..

هى - بالقطع - مقاومة ذاتية ، نوع متفرد من الشجاعة ، سيجله التاريخ حتما "

ست سنوات «تحضير» لأكتوبر النصر.



٢

الكل فى واحد ..
فى حصار المائة يوم

- مـائة يوم كـاملة من الانتظار، والحـصـار، والألفـة، والحـب، حتى كاد الخمسة آلاف سـويسـى أن يكونوا الكل فى واحد !

مـائة يوم من التـرقب، الكل أطلق الشـهـادة، ليـحـدث مـا يحـدث، الجميع من الخفير إلى الوزير المحافظ لايدرون ماذا تخبىء لهم الأيام، واليهود "

لقد عاش السـوايسـة من قبـل فى الخندق، وفى مـواجـهـة اليهود ست سنوات كاملة، يتعاونون ، يستعدون ، يستجمعون مقاومتهم الذاتية، يكتبون الشعر، ويقرأون ويغنون، كان ذلك منذ ظهر يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وحتى ظهر يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ .

ومع ظهر يوم السادس من أكتوبر، انطلقت الحناجر، الله أكبر ، عبرنا القناة، حطمنا خط بارليف، أنهينا أسطورة العدو الذى لايهزم .

□□□

استمرت الأفراح ، مع طلقات المدافع، مع دم الشهداء، مع صلابة المقاومة ، حتى فجر السادس عشر من أكتوبر .

□ **ماذا حدث ؟**

□□ إنها الثغرة "

وبدأ العدو فى استجماع قوته وغدره وقواته، وولوا وجوههم صوب السويس، لعلهم يتخذون منها قاعدة .. السويس تحديدا، شاهد المقاومة، فى التاريخ المصرى الحديث.

□□□

طوقوا المدينة من كل ناحية .. واستمروا أسبوعا، يحاصرونها ، منعوا كل شىء، وأى شىء من دخول المدينة !!

حتى جاء اليوم الرابع والعشرون، الذى ستكتب تفاصيله الخالدة بالدم... لكن كل شىء توقف . !

- الدبابات الإسرائيلية الاثنين وثلاثين حرقت '

- مقتل عشرات الإسرائيليين '

- خمسة آلاف سويسى فى خندق محافظة السويس يكتمون أنفاسهم '

- بضعة «أنفار» فى الخارج يطلقون الرصاص '

- فجأة الزحف توقف... تصور اليهود أن المدينة ستنشق عن بواسل يخرجون للالتحام '

- انطلقت التكبيرات من مسجد الشهداء «الله أكبر» .. وصوت «عربى» - «مش هانسلم» ''

- ربط إسرائيلى بالحبال على عمود كهربائى حتى الموت!

- الهدوء يسود المدينة !!

- ما التفاصيل ؟

- ما الحكاية ؟

- من الذى أوقف الزحف ؟

- كيف عاش الناس مائة يوم كاملة فى حصار من السادس والعشرين من أكتوبر ١٩٧٣ حتى الأول من أبريل ١٩٧٤ حتى فك الحصار، ومحادثات الكيلو ١٠١ ؟.

- ماذا كانوا يأكلون ؟

- كيف كانوا يشربون ؟

□□□

تفصيلات كثيرة فى كتاب البشر، لمواطنين صمدوا ، وصبروا ، وثابروا ، فكتبت لهم الحياة فى تراجيديا الإنسان المصرى، وصراعه مع العدو الإسرائيلى !

□□□

فى السويس .. تذكروا ، وإن كانوا لم ينسوا هذه الأيام.. لكن للأمانة .. الجميع لم يدع البطولة لكنهم تحسروا على أيام عظمت فيها قيمة العطاء والحب والتعاون، حتى صاروا «الكل فى واحد» .

الشاهد الأول:

سيد توفيق

مدير مكتب المحافظ «أثناء الحصار»

ورئيس مدينة عتاقة «سابقا»

من يوم ١٦ أكتوبر إلى فجر ٢٤ ، كان الجميع فى حالة انتظار، والاحساس . خوف ، رعب ، تساءل بعضنا ماذا سيحدث عندما يأتون ، أقصد اليهود !

الناس الذين يصل عددهم إلى خمسة آلاف متجمعون فى «بدرون» المحافظة اقترح الجميع بل أصروا على أن يترك المحافظ ومدير الأمن «الخندق» فى مبنى المحافظة ، إلى داخل المدينة «لأن المحافظ فى هذه الحالة رمز» وكان بطلنا من قبل اليهود، الذين أعلنوا فى «الميكروفونات» على المحافظ أن يسلم نفسه .

فى فجر ٢٤ أكتوبر ، الناس مازالت فى مواقعها ، والطائرات الاسرائيلية تقصف المدينة بشكل محموم .

الدبابات الإسرائيلية تتمشى فى المدينة ظهر يوم (٢٤) .. ثم اشتباكات ، كيف حدثت، الله أعلم !! لكن ما سمعته أن بعض شباب منظمة سيناء العربية والقناصة وأفراد من القوات المسلحة هى التى التحمت مع اليهود !

المفاجأة : انسحاب قوات العدو من المدينة في المساء إلى أطراف المدينة ! الناس هدأت، لكننا ننتظر ماذا سيحدث فى اليوم التالى .

❑❑❑

مازالت مدفعية العدو تطلق نيرانها بكثافة . ومازالت محاولاتهم لاقناع المحافظ «بالتسليم» مستمرة ! الناس فى قلق ، حتى أعلن ، إن المحافظ لن يسلم !! ومازال القصف مستمرا !.

❑ فى اليومين التاليين ٢٥ ، ٢٦ الناس متعاونة فى اقتسام اللقمة ، وشربة الماء ، بعد أن تماسكوا ، وسيطروا على أعصابهم ، وبدأت قيادات المدينة فى التحرك ، مع عمل حساب المياه والوقود والطعام .

الحصار مازال مستمرا ، قوات الطوارىء دخلت المدينة يوم ٢٧ نوفمبر، بدأ تنظيم صرف المياه والطعام .. هذا فى

الوقت الذى أخذت فيه كل مجموعة تنظم حياتها (النوم ، المأكل ، المشرب) خصوصا وهى لا تعلم كم يوماً سيبقى الحال على ما هو عليه .

❑❑❑

بدأت قوافل الطعام والمياه تصل من القاهرة وبدأت الحالة تتحسن نسبيا، لكن كنا حريصون على أن يكون توزيع الطعام والمياه فى أضيق الحدود، تحسبا لغدر العدو، الذى قد لايسمح بدخول «المؤن إلى المدينة» !!

❑❑❑

المشاعر كلها متداخلة ، والناس فى تعاطف ، لقد أعطانى واحد (لا أعرف من) لأن الظلام كان دامسا ، قطعة من «بلحة» .. وسمعت كل الأفواه تمضغ ! كان ذلك يوم ٢٤ أكتوبر ! والطريف فى الحصار أن معلومات الشارع كانت أكثر من القيادات ! لقد فوجىء المحافظ ومعه قيادات المدينة أن اليهود وصلوا .. ودخلوا !!

❑❑❑

❑ يسألنى الأستاذ سيد توفيق .. أما كان فى الإمكان .. إن يرجع بالذاكرة مرة أخرى ، ليتذكر بعض التفاصيل عن يوم ٢٤ أكتوبر .

□ قلت: تذكر كما شاء لك أن تتذكر .. ولن أعيد ترتيب الأفكار ، أو الأيام .. لأن مائة يوم من الترقب، تستحق أن ننشرها كما يحتويها شريط ذاكرتك !

يتذكر سيد توفيق (وهى أول مرة يتكلم عن هذه الأيام) .

يوم ٢٣ وفى الخامسة مساء .. سمعنا الطلقات على أطراف المدينة، أبلغنا أفراد الدفاع الشعبى الذى كانوا يعسكرون فى مساكن شل ، بأن اليهود وصلوا .

كان هدف اليهود تأمين ميناء الأدبية، لتعزيز مواقعهم فى الثغرة ، فضلا عن إمكانية حصار الجيش الثالث .

سألت من غرفة العمليات معمل تكرير البترول ، حيث رد على فوزى يوسف، قائلا: فيه دبابات ، لكنها «مصرية» . قلت له: بص كويس، قال · مصرية !

والحقيقة أنها كانت فعلا مصرية، لكن راكبيها كانوا يهود! بعدها بفترة بسيطة ومن الساعة ٨.٣٠ وحتى ٩.١٠ مساء دارت المعركة ، لا نعلم حقيقة الموقف لكننا تسلمنا برقية من القاهرة كان نصها : «اصمدوا .. وحاربوا حرب المدينة» وهى موقعة من المشير أحمد إسماعيل .. إذن لقد تم حصارنا !!

□□□

ماذا نفعل؟

تم الاتفاق - بناء على رأى الجميع - أن يغادر المحافظ ومدير الأمن خندق مبنى المحافظة ، إلى أحد البيوت فى قلب المدينة .

استمرينا فى مواقعنا ، لا ننام ، ولا نصحو (!!) انتظارا لما سيحدث فى اليوم التالى (!!) .

□□□

مع أول ضوء فى يوم ٢٤ أكتوبر ، بعض القوات الفدائية والكوماندوز عملوا متاريس على منافذ المدينة، وكانت قوات العدو تدك المدينة (بالطائرات) ،.. إذن : هو ستار لدخول المدينة !

فى الظهر .. سمعنا صوت مدرعات .. واشتباكات .

المفاجأة : تم تدمير اثنين وثلاثين دبابة ومدرعة !! أى أن «القول الدباباتى » الذى تمشى فى المدينة ، نسف عن أخره !

حدث الإنسحاب ، تصور العدو أن هناك كمائن بالمدينة ، ولم يستطع أن يتصدى لحرب المدن !!

يوم٢٥ قضيناه فى مسجد الشهداء .. رفضنا تسليم المحافظ .. مفيش مياه ، طعام ، وقود !

ومع ذلك الناس متماسكة ، وبدأت تكيف ظروفها ، لاندرى ما يحدث خارج المدينة ، يبدو أن اتفاقا حدث !

إن ما حدث يوم ٢٤ كان معجزة إلهية . لا أحد يزعم من الذى قاوم !

قوات العدو وصلت إلى قسم شرطة الأربعين ، خرج الناس من المخبأ ، حدث اطلاق نيران من بعض العمارات القريبة .. الجميع فر (أقصد اليهود) !! وقتل ٣٢ يهوديا !

تصور اليهود أن هناك مقاومة منظمة .. ولم يكن الأمر كذلك ! لذلك فقد «تشجع الناس» !

□□□

وأقرر : أن تصرف الناس كان خاضعا للظروف ذاتها ، ومن حسن الحظ، أنهم عاشوا حرب الاستنزاف، وقد خلق ذلك منهم ، مجموعة متحابة ، متآلفة ، كانت تصرفاتهم مع بعضهم «عاطفية » فى أكثر الأحيان .. وأقرر – أيضا – أن هذه المجموعة مازالت متحابة ومتآلفة ، ومتماسكة ، سيما الموجود منهم على قيد الحياة !.

□□□

الشاهد الثانى:
حسن على أحمد (قهوجى)

«كنا أكثر من ٥ آلاف نفس عايشين هنا فى الخندق، كل الناس كانت يد واحدة . مفيش حاجة اسمها مسلم ومسيحى.. العيال هنا كانوا جدعان قوى .. مفيش مايه .. ومفيش أكل كفاية ! المهندس علاء الخولى مدير التموين عمل حل كويس .. فتح المجمعات ، ووزع اللى فيها على الناس .. أصل كان فيه حوالى ٢٠ ألف من العساكر هنا .. هياكلوا منين .. مائة يوم .. لكن كانت أيام حلوة (يضحك) .. لأن الناس كلها كانت يد واحدة .. وبيحبوا بعض .. والكل كان على استعدادا للموت والشهادة » .

« تحيا مصر » !!

□□□

الشاهد الثالث

مسعد القفاص (مصور فوتوغرافى)

«كنا خمسة آلاف غير جنود القوات المسلحة ، أو ما يسموا بالمتأخرات، وكانت هناك جملة واحدة - فى الحوار- تدور بين المدنيين والعسكريين : إذا ماكنتوش عاوزين تحاربوا، أعطونا أسلحتكم واحنا نحارب » .

«كنت فى غرفة عمليات المحافظة ، استقبل الاشارات، وقد استلمت ذخيرة يوم ٢٥ أكتوبر ووزعتها على الناس ، كان من الممكن أن يهرب الناس - من الجوع - ويروحوا لليهود ، لكن المصرى السويسى فضل أنه يتعامل مع عيش الفراخ ، ينشفه على النار ويأكله» !

«الشيخ حافظ سلامة أعلن من ميكروفون مسجد الشهداء .. مش هانسلم .. الناس طبعا كانت مهيأة للصمود ، علشان السنين الستة اللى عشناها ، أيام عمليات الاستنزاف فى الصمود» .

«الله أكبر» .. كانت بتخلى أجسامنا ترتعش ونصمد ونقاوم الخوف والجوع والعطش والحصار»!

«الحاج مندور الحلوانى .. كان باقى عنده شوية دقيق وشوية سكر ، عمل بسبوسة ووزعها علينا كل واحد حتة » !

«اليهود تصوروا يوم (٢٤) أن المدينة بها أكمنة ، ومستعدة للمقاومة بعد ما خسروا ٢٢ دبابة واعتقل لهم ٣٣ عسكرى .. فانسحبوا» .

«عم عطية عارف العجلاتى، وعم حسن يوسف بتاع الجرائد، كل واحد كان بيقدر يعمل حاجة ، كان بيعملها من غير تردد ، كلنا كنا يد واحدة ، وتقدر تقول : كلنا كنا واحد»!!

«الغريب أن المستشفى الأميرى كانت مكدسة بالجرحى.. لكن مافيش وباء فيها» ..

و«الدكتور محمد أيوب عمل المستحيل لمدة ١٠٠ يوم فى المستشفى .. وفى اليوم ١٠١ جاءته طلقة .. واستشهد » !!

«الممرضة «فلة الجريجية» قالت للمحافظ قبل الحصار بيوم مش ها أسيب السويس، هنا بابا وماما مدفونين .. مش هاأسيب السويس » !

و«نجية بلله الممرضة كانت بتداوى الجرحى وتجمع الذخيرة وتناولها للرجالة» .

«الناس ربطت يهودى على عامود النور يوم ٢٤ أكتوبر » .

الشاهد الرابع

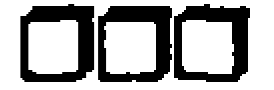
إسماعيل أبو جبل (عامل بالمحافظة)

«يوم ٦ أكتوبر .. كنا قاعدين في المحافظة وكان معانا موظف في اللاسلكي سمعنا ذبذبة، صاحبنا قال هايحصل ضرب، واحنا طالعين ، وكانت الساعة اثنين وشوية، لقينا أول طلعة، كانوا ست طيارات، ثلاثة .. ثلاثة .. المحافظ يوم ٦ أكتوبر كان في مصر رجع أخر النهار .. روحنا المعنوية كانت عالية جدا ، فرحانين، لأننا كنا منتصرين» .

«كنا - كلنا - أسرة واحدة في حرب الاستنزاف .. الأكل بيكفي الكل .. ساعة الغذاء .. الكل بيأكل .. وساعة الضرب، كله في الملاجيء» .

«كان دائما تفكيرى ، هل ستعود السويس مرة ثانية بعد الحرب، زى ما كانت الأول .. هل هاتتعمر، والناس ترجع تاني» !

«كل اللى استشهدوا عزوا علىّ .. لنا كلنا مع بعض حكايات .. كلهم كانوا أخواتي أو أولادى حتى ولو لم تكن هناك رابطة دم » !!



الشاهد الخامس

صابر جاد (معمل تكرير البترول)

مائة يوم من الحصار ، لمدنيين ، شكلوا بطولة جماعية ، كان من تأثيره تغيير مجرى تاريخ المحادثات والفصل بين القوات .

«تفاصيل كثيرة .. وصغيرة . لكنها تؤكد وعى الضمير المصرى ، والقدرة على الصمود ، لقد رفض الناس - هنا - أن نشرب المياه الجوفية التى اكتشفوها .. وأعطوها للجنود .. مشهد يؤكد الإيثار ، هذا فى الوقت الذى حمى فيه المحاصرون ظهر الجيش الثالث» .

«لقد اعتقدت اسرائيل أن السويس «قلعة» والحقيقة أنه لم يكن بها ما يصد عربة جيب !

«السويس لم يكن بها وقود ورفضت اسرائيل دخول وقود أو حتى سبرتو جاف .. لذلك قام الناس بتقطيع الشجر ، وعملوا منه وقود ، علشان يخبزوا عليه العيش» .

«مجموعة أطباء مستشفى السويس ، عملوا بروح وبمنطق الطبيب المقاتل ، كانوا يعملون فى اليوم بجهد يومين ، نتيجة

حوادث الطيران ، في جو مفيش فيه مواد طبية .. وبعد أن ينتهوا من عملهم في الجراحة ، كانوا يغسلون المستشفى بالماء المالح .. وبأيديهم .. وكان فى مقدمة الأطباء د. محمد طلعت عز الدين ، الذى يعمل الآن مديراً لمستشفى المنيرة بالقاهرة ، والذى تربطه بالسويس - نتيجة الحصار - حب كبير ، دفعه لأن يزور السويس كل أسبوعين ويجرى عمليات جراحية لأهلها .. مجاناً » .

«ما أثير حول المحافظ محمد بدوى الخولى باطل .. فقد كان الرجل شجاعاً ، ونحن الذين أقنعناه بأن يبقى داخل المدينة ، ويترك مبنى المحافظة ، لقد كان إنسانا نشيطا ، يباشر عمله يومياً بالمرور على الناس فى مواقعها ومخابئها ، لقد غير اسمه إلى «عبد الهادى» تمويها لإسرائيل .. وأقر أنه ومعه مدير الأمن كانا مع الناس فى معركة الأربعين يوم ٢٤ أكتوبر» .

أن يتحول الحصار إلى صمود . لذلك معنى ، وأن يتسامر الناس ليلاً ، إذن هم غير متضايقين ، وكونهم يلعبون الكرة نهاراً أمام الطوارىء الدولية .. فذلك دليل كاف على الصمود».

«حركة الناس اليومية ، بما فيها من إعاشة ، وحركة ، وطعمية ، وبسبوسة ، وبليلة ، هذه حركة ليست وليدة نفور ، أو غضب ، أو خوف ، إنما دليل صمود» .

«عناية الله كانت تحرس الناس .. فلم يشعروا ببرد .. إلا بدخول قوات الطوارئ .. فاكتشفوا أن الشتاء قد حل» !

«في وقت الأزمات العصيبة ، تظهر قدرة الرجال على الحركة .. والدليل :

في الموقف التمويني .. تحمل علاء الخولي مدير التموين – أنذاك – مسئولية فتح المجمعات الاستهلاكية وقام بتوزيع المواد التموينية على الصامدين مجاناً .

قام عادل الحداد .. الذي كان مسئولا عن البنك الأهلي .. بتوزيع الفلوس على الناس شهريا ، كل «شخص» خمسة جنهيات .. وذلك بتنظيم حركة الاستهلاك .. وذلك على مسئوليته ، ومن يفعل ذلك .. لا يكون خائفا !

هيئة قناة السويس قامت بمد المياه من مصدرها من وابور المياه بالسويس على عومات عبر القناة لتصل المياه للجيش الثالث في سيناء ، وكان ذلك على مسئولية القبطان الخولي» .

«عربى الشاب الكفيف، صاحب الصوت الجميل ، ومن أصدقاء كابتن غزالي ، كان يحفظ معظم أغانى ولاد الأرض ، كان معه بعض أعضاء الفرقة ، كل مساء يعملوا حفل سمر ، أغانيهم كانت تحث على النضال والجهاد والصمود» .

«الشيخ حافظ سلامة ، له أيادى بيضاء .. الناس لجأت إلى مسجد الشهداء ..كان يحث الناس على الصمود والجهاد» .

«وأود أن أؤكد أن ما حدث يوم ٢٤ أكتوبر ، يعود إلى المجموع ، لا أحد يستطيع أن يقرر من هو صاحب الطلقة الأولى في مواجهة اليهود . لقد كان فرج عمدة ، في لحظة .. تصورت إسرائيل أن البلد فاضية ، فجأة «قذف فى قلوبهم الرعب» ففروا من الدبابات ، والناس يطاردونهم .. توقف قول الدبابات ، حرق منه ٣٢ دبابة» !!

□ أستاذ صابر : ما تحليلك لحالة صمود الناس في السويس .. ببساطة ؟!

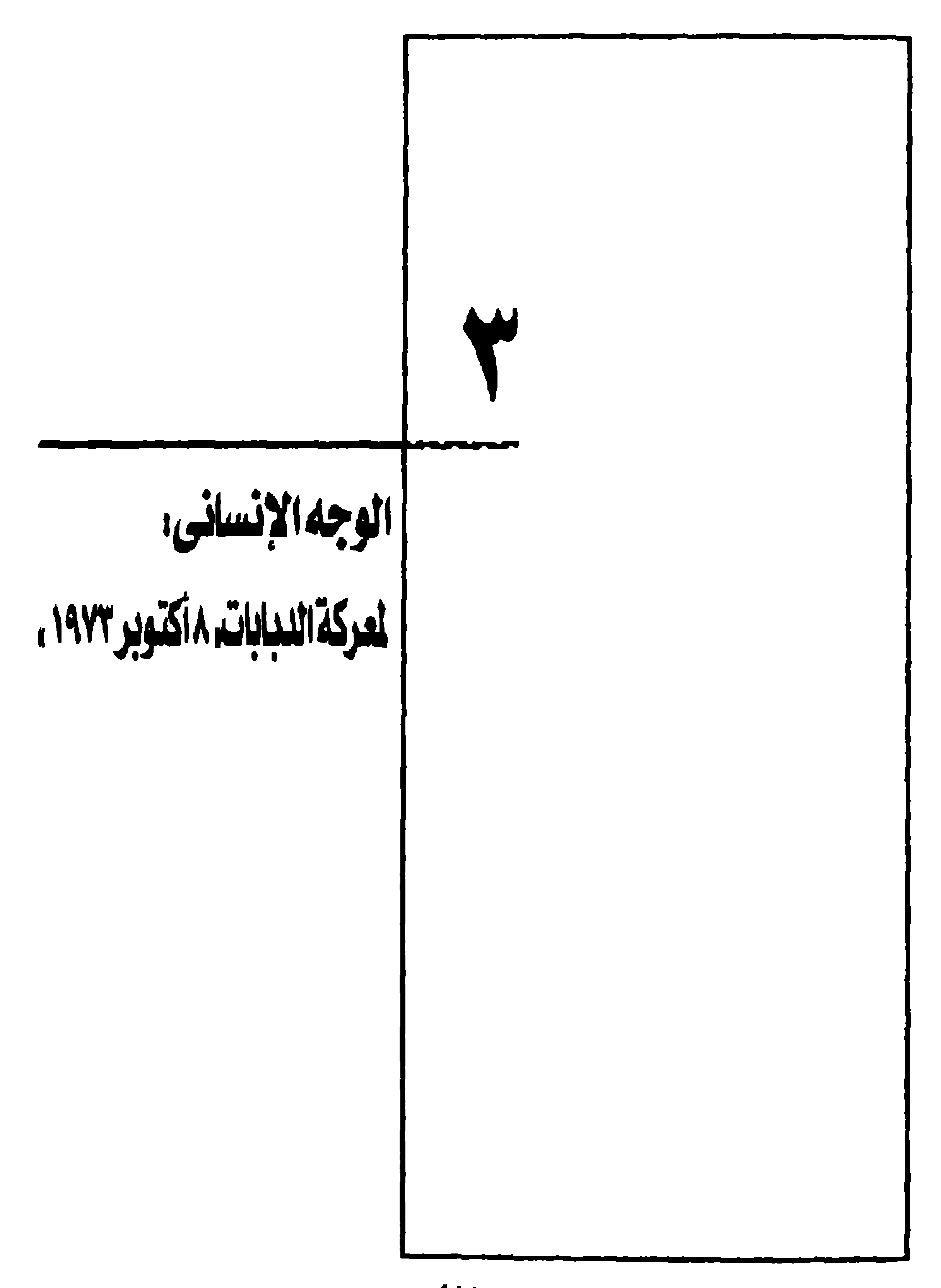
□□ يقول : شعب السويس ، شريحة من الشعب المصرى، تحب بلدها جداً ، حب قد لا تلمسه بهذه الدرجة فى محافظة أخرى ، يمكن لأن المساحة صغيرة ، والناس تعرف بعضها البعض ، وبينهم صلات دم ومصاهرة ، لقد هجر المدنيون

أسرهم ، وبقوا بالسويس ، شأنهم فى ذلك شأن الاسماعيلية وبورسعيد .

ويضيف : لقد كان شرط البقاء .. أن يتعلموا ضرب النار، تعلموه وحبهم للأرض فرض عليهم الصمود .. منطلقين من إيمان راسخ بأن الرب واحد والعمر واحد .. وهذا الحب لهذه الأرض لم يكن صدفة .. جذوره تمتد فى أعماق التاريخ ، وممارسات النضال يعرفه السوايسة جيداً .. والدليل حروب ٥١ ، ٥٦ ، ٦٧ .

لقد كانت تجربة فريدة فى عمرى .. أن أعيش فى حب وتماسك مائة يوم .. هى عمر الحصار .





٣

الوجه الإنسانى:
لمعركة الدبابات ٨ أكتوبر ١٩٧٣ ،

كنا مراقبين فقط للحرب .. ساهمنا بقدر ما نعلم ، أو ما ندرى ، إنما من كانوا فى قلب المعركة ، هم الذين شاهدوها، وأداروها ، وسقط منهم الشهداء فداء للوطن ، وكرامة الأرض .

والعقيد عصام الجوهرى «اللواء الآن سكرتير عام محافظة السويس السابق»، كان واحدا من قادة حرب أكتوبر، ومن الحاصلين على نجمتها ، ونوط التدريب ووسام الجمهورية .. كان قائدا للمدفعية ، وأحد الذين قادوا معركة الدبابات الشهيرة يوم ٨ أكتوبر .

الرجل به مسحة دينية خالصة ، طيب القلب ، وافق فور أن طلبت منه أن يحكى لنا تداعيات معركة الكرامة ..

وتكلم الرجل ببساطة ، دون «تزويق» .. وكانت هذه التداعيات ..

□ الحديث عن تداعيات الذاكرة ، حول الرحلة العسكرية التى كلفت بمواقع متميزة ، طوال تاريخك العسكرى ، منذ أن كنت ملازما حتى تركت الخدمة العسكرية ، إلى هذا الموقع المدنى (كسكرتير عام لمحافظة السويس) .. هى بالقطع رحلة طويلة .. فلنبدأ بالبطاقة الشخصية :

□□ يقول : بطاقتي تتضمن اللواء عصام الدين رفعت الجوهرى ، من مواليد القاهرة عام ١٩٣١ ، من أسرة عسكرية ، والدى اللواء رفعت الجوهرى ، وكان مديرا لسلاح المدفعية ، وكان من الكتّاب العسكريين خاصة في مجال الصحراء ، تخرجت في يوليو ١٩٥٣ ، تدرجت في جميع مناصب المدفعية من رتبة الملازم وحتى رتبة اللواء ، وكانت أغلب خدمتي في جبهة القتال ، حضرت الحروب الثلاثة (٥٦، ٦٧ ، ١٩٧٣) .. أؤمن : بالأمانة ، الواجب ، العمل ، المصلحة العامة ، أرعى - في جميع قراراتي الله .

□ سيادة اللواء : لندخل - بداية - في تفاصيل قد تكون هامشية بالنسبة لحرب العام ١٩٥٦ .. لنصل من خلال الرحلة إلى السنوات الست للاستنزاف .. وصولا إلى معركة السادس من أكتوبر المجيدة .

□□ يقول : عندما تخرجت كنت ملازما ، وكان سني ٢١ سنة ، التحقت بسلاح المدفعية ، ومكثت ستة شهور ، فيما يسمى «بميز الضباط» حتى نتدرب في هذا السلاح ، وبعد التخرج التحقت بالآلاى الثالث الميداني ، وكنت ضابط «تروب د» .

كـان والدى دائمـا يعلمنى ويوجـهنى ، وقـد تحـركت مع الآلاى إلى «أبوعجيلة» وهى على الحدود المصرية الاسرائيلية في سيناء .. وعملت فى منطقة «العوجة» وكان معنا أساتذة المدفعية .. وقد ربيت على عملى وبيتى وربنا .

فى العام ١٩٥٦ شهدت جزء من معارك أبو عجيلة ، ولم تكن هناك معركة حقيقية أو مواجهة حاسمة مع اليهود .. لكن المـدة التى قضيتها فى الجبهة - فى هذه المنطقة تحديدا - كانت كبيرة ، وتعلمت منها الكثير ، منها الارتباط بجنودى وزملائى ، كما يجب على الضابط أن يعتمد على المعلومات ، وأن يكون دائما مؤهـلا للتعايش مع المنطقة التى يعمل فيها .

فى العـام ١٩٦٧ .. كنت «رائدا» وكنت قائدا لكتيبة من كتائب الاستطلاع الالكترونى .. فى نخيل .. وتحركت منها إلى الكونتيلا .. لم يحدث أيضا المواجهة الحقيقية مع اليهود .. وقـد عدت - بناء على التعليمات - بوحدتى كاملة من الكونتيلا التى تبعد عن القناة بنحو ٦٠٠ كيلو متر .

كـانت نصيحة والدى دائمـا أن أتوخى الحذر من ممر «متلا» .. فقد كان الرجل صاحب تاريخ عسكرى كبير ، وممر

«متلا» هو عبارة عن مقبرة ، لذلك يجب أن تتحرك فيه ليلا .. وقد استفدت من هذه النصيحة ، وهى التى أفادتنى بالعودة بكتيبتى سالما ، خاصة وأن معدات الكتيبة كانت من أغلى معدات القوات المسلحة .

والحقيقة أن ما حدث فى ١٩٦٧ كنا شاعرين أنه لا ذنب لنا فيما حدث ، وفيما بين ٦٧ إلى ١٩٧٣ ، كانت هناك تدريبات عنيفة وقاسية ، وفى هذه الفترة التى قضيتها بالجبهة ، كنت قائد مدفعية اللواء السادس «مشاه ميكانيكى» فى منطقة «الجفرة» .. وهذه المنطقة من اسمها تتبين معالمها ، لكن كنا نعيش فيما يسمى «قفص القرود» .. ولك أن تتخيل كيف يعيش القرود !!

كان علينا أن نعيد النظر فى «العسكرى» .. ما الفائدة من أنك تملك معدات حديثة ومتطورة وعلى أحدث مستوى ، بدون لياقة عالية «للفرد» لذلك انصب اهتمامنا على الجندى .. أغلب المعدات التى حاربنا بها فى العام ١٩٧٣ كانت هى المعدات التى كان يمتلكها الجيش فى العام ١٩٦٧ .

التطوير لم يكن فى الجزء الأجنبى ، إنما فى الجندى والضابط المصريين ، فضلا عن معنويات الناس العالية جدا ،

حيث تجاوزنا فيما حدث في العام ١٩٦٧ .. وكان الجميع يقولون : متى تأتي الحرب لكي نخلص " إما أن نحارب ، وننتصر أو نموت !!

والواقع يقرر أنه في الفترة ما بين ٦٧ إلى ١٩٧٣ ، تم إعداد الرجال أكثر مما تم تطويره من معدات ، لقد كان تدريبا قاسيا ، وكبيرا ، وكان شعور القادة بالمسئولية كبيرا ، وإيمانهم بحتمية المعركة ، كل ذلك كان سببا مباشرا في ارتفاع معنويات الأفراد في القوات المسلحة ..

وفي المدفعية - خصوصا - لا يقيم القائد نظريا إنما «عمليا» فعقب كل عملية ميدانية يتم التقييم من قبل لجنة تحكيم على مستوى عال .

وكان هناك الأكثر من ذلك ، وهو الرباط - بـ «الله» الذي تعمق وازداد .. لذلك كان الله معنا في معركة السادس من أكتوبر .. وهناك كلمة عظيمة عندما نطقنا بها ، اهتزت لها أبداننا ، ولم نعرف المستحيل .. الكلمة هي «الله أكبر» ..

□□□

العبـــور

☐ سيادة اللواء عصام الجوهرى : تداعيات الذكريات خاصة العسكرية ، وتفاصيل الاقتحام الكبير نحو النصر ، استعادة للثقة بالنفس ، كانت فى الساعة ١٤٠٥ من يوم السبت السادس من أكتوبر .. هل عبرت ، وكيف .. أقصد ماذا حدث إنسانيا ؟!

☐☐ يقول .. وقد اكتسى وجهه بالزهو ، نافضا عنه أربعة وعشرون عاما من الزمان فضلا عن زحام عمل يوم كامل كنا قد التقينا فى نهايته : بداية أود أن أؤكد أننا كقوات مسلحة كنا قد وصلنا إلى درجة عالية من الكفاءة العسكرية .. التى تؤهلنا للدخول فى الحرب «أى حرب» ، وشريط الأحداث مازال ماثلا فى عقلى وأمام عينى ..

وأود أن أسجل بداية - وليس مصادرة على ما حدث - أننى حصلت على نجمة أكتوبر .. وكنت ممن عبروا يوم ٦ أكتوبر ، فى الموجة الثانية .. أى الساعة الثانية وعشر دقائق ..

والمؤكد أن «ربنا» كان معنا تماما .. وهناك مواقف كثيرة تؤكد توفيق الله ، وقدرة المقاتل المصرى على الحرب .. أول ما نزلت فى مياه القناة ، فى قارب مطاط ، وكنت قائد مدفعية اللواء (١١٢) فى الفرقة (١٦) وكان قائد مدفعية الجيش «سيادة العميد محمد عبد الحليم أبو غزالة» ، وكان قائد الجيش «سيادة اللواء سعد مأمون» .

واسمح لى أن أقول ماذا كان يحدث قبل الحرب بأربعة أو خمسة أيام .. كان بيمر علينا قائد مدفعية الجيش وقائد مدفعية الفرقة أحيانا أخرى ، كان كل واحد بيستعد أن فيه حرب ، وآخر يوم قالوا لى حرك مجموعتك لتتحرك من جبل مريم فى الإسماعيلية حتى قبل الدفرسوار بقليل» .. وكان معى فى الفرقة ضباط برتب صغيرة ، وقد حاربوا بشجاعة ، واليوم هم رتب كبيرة فى الجيش ..

كنت أشعر بأننا سندخل المعركة ، لكن متى .. لم أكن أعرف ؟! كان لنا مركز معلومات على المياه ، نرصد منه التحركات ، كنا قبل المعركة تحديدا بيومين فى حالة قلق ، أو شعور بالمسئولية ، كنت وأنا نايم فى الخندق بكامل ملابسى ، أستيقظ فجأة وأسأل زميلى الرائد محمود عبد الرحمن «الآن

لواء» وهو نائب رئيس التنظيم والإدارة ومن أكفأ الرجال وأشجعهم» ، كنت أقول له : هل اختبرت أجهزة اللاسكلى ؟ يقول لى . أيوه يا أفندم .. حضرتك ارتاح» !! أعود .. لأوقظ الرائد محمود . «إصحى يا محمود .. أخبار الذخيرة أيه؟ يقول لى : «كله تمام يا أفندم» !! أخبار الحملة أيه ؟! تمام يا أفندم .. ثم يعود محمود للنوم بضع دقائق !!

إلى أن دخلنا مواقعنا المتقدمة على شاطىء القناة التى سنهجم منها .. ولم أكن أعلم أنها الساعات الأخيرة .. التى ستعلن بعدها الحرب !!

وهناك – فى القوات المسلحة – ما يسمى بـ «ساعة سين» أى أننا على أهبة الاستعداد .. ولأن هذه «الجملة ساعة سين» لا يمكن أن توزعها عن طريق اللاسلكى .. فقد يلتقطها العدو القابع على الشاطئ الشرقى للقناة .. إنما فوجئنا بأنها قد وصلتنا مع «موتوسيكل» وبدأنا نحسب متى نضرب» ؟ .. وقبلها اختبرنا الأجهزة .. لكن موتوسيكل!! «تيقنت» أن هذه المرة ليست ككل مرة ، هذه المرة «جد» !!

كان بينى وبين اليهود (١١٠أمتار) ، هى عرض القناة ، كان مركز الملاحظة الخاصة بة عند نقطة اسمها «الدولين»

عند «الشخ حنيدق» فى طريق الاسماعيلية ، وهى النقطة التى سأعبر منها ، كنت خايف إذا اختبرت اللاسلكى خاصة ونحن فى المدفعية لنا كلمة اسمها «بلغ عن الحاضر» ومعناها «حانضرب» فى هذه الحالة سيتنبه العدو على الشاطىء الشرقى للقناة ، ومع نقط ملاحظات أن هناك «شيئا ما» !

إذن : كيف أختبر هذه الأجهزة ؟ وعند الضرب التى سيبدأ من فايد إلى بورسعيد فى وقت واحد !

علينا جميعا أن نعلن «بلغ عن الحاضر» ، كان هناك اتصالان أحدهما لاسلكى والآخر خطى ، قبل العبور ، أساس العبور ، لا نعتمد على الخط ، بل اللاسلكى ، وهناك طبعا أكثر من جهاز ، فكرت ، كيف أتأكد من عدم التقاط العدو «بلغ عن الحاضر» .. كان عندى خط تليفونى ، قلت لهم «أى قادة الكتائب» .. «أخذت تمام .. حاضر» .. لكن إذا قلت فى الأجهزة «بلغ عن الحاضر» سيسمعنى الطرف الآخر ، أى العدو ، كما قلت من قبل لذلك قلت للقادة : أنا سوف أفتح «الراديو» العادى على القرآن الكريم ، من يسمع منكم يقول لى «حاضر» أعرف أن جهازه سليم !! وكان ذلك بالطبع إلهام وتوفيق من الله .

لم يفهم العدو هذه الرسالة ..

وبدأت المعركة بتمهيد من الطيران .. ثم انفتحت المدفعية من فايد إلى بورسعيد .. وفي الموجة الثانية - كما سبق وقلت- ركبت قارب مطاط ، وكان قد سبقنا مركز ملاحظة سراى المشاة والمدفعية ، وبدءوا يأمنوا المشاة ، وتحركنا ، مبدأ المدفعية النيران باستمرار ، وأنا في القارب المطاط ، كل واحد له علامة ، هذا السلم الذي يرتفع ١٤ مترا ، وكان رقمي على السلم « ٥٤ » وتسلقت الساتر الترابي ، وإن كنت الآن لا أستطيع تسلق ١٤ سنتيمتر !! بدأت أتولى «سلطة النيران» كقائد مدفعية ، وبدأنا ندخل في العمق ، وكان معي العميد عبادي يسرى (اللواء الآن) ، صاحب مايسمى بـ «الساق المعلقة» !!

عندما تحركنا سويا ، أول مرة في حياتي أواجه اليهود ، والحقيقة - التي لا أستطيع اخفاؤها - أنني كانت لدى فكرة أن اليهود عدو لا يقهر !! لكن نظرت ، عندما فتحنا النيران على عربة مجنزرة ، ودبابة ، وجدت أنهما احترقتا .. إذن ما حكاية العدو الذي لا يقهر !!

□□□

الآن المواجهة .. ليس فيها ما يسمى بالذى لا يقهر ، وإن كانت الحرب النفسية قد أثرت فى نفوسنا بعض الشىء .. تلك هى المواجهة إذن بعد هذه السنين !!

وتحركنا إلى أن وصلنا إلى منطقة اسمها «أبو وقفة» على بعد ١٨ كيلو من القناة فى العمق ، وذلك سيرا على الأقدام وكان ذلك يوم (٧) أكتوبر ، كان معنا مجموعة مدفعية ، ولواء مشاة مدعم ، كان قائده عادل يسرى ، وبعد ذلك ، وجدنا نقطة قوية ، فيها تبة عالية ، من يلحق بها ، سواء من القوات المصرية أو الإسرائيلية يسيطر عليها حتى القناة تقريبا !!

كان من الضرورى أن نحتل هذه «التبة» وكان قائد الفرقة وقتذاك سيادة الفريق عبدربه حافظ ، وكان معنا سيادة اللواء بكير محمد بكير مساعد الفرقة (الذى عمل بعد ذلك محافظا للسويس) .. وحدثت مناوشات كثيرة لاحتلال هذه التبة ، تتقدم السرايا ، ثم تتقهقر ، قال العميد عادل يسرى ، علينا أن نتقدم «شوية» فى محاولة لاحتلال هذه التبة ، وتقدمت معه، مع مجموعة ملاحظة صغيرة من ضباط المدفعية ، ووصلنا إلى «أبو وقفة» .. عندما وصلنا ، احتلينا هذه التبة

(وكانت من أصعب المعارك) .. كانوا هم يضغطون بالدبابات، بنحو ١٢ دبابة دفعة واحدة ، فى أخر ضوء ، هجموا ، المدفعية تضرب ، المشاة تضرب ، الدبابات تضرب .

ضربنا ، وانهينا كل الدبابات ، ماعدا دباباتان دخلتا مايسمى «بالحد الأمامى» .. كان هذا اليوم .. يوم حياة أو موت (شعرة قد تغير مصير معركة بالكامل) ، وأتذكر «ربنا كان معنا بالكامل» .. دخلت واحدة منهما يمين والدبابة الأخرى دخلت شمال ، دخلت الدبابة «اليمين» فى وسطنا ، كانوا يدوسون جندونا بالجنازير ، أنا أقول الحقيقة بالكامل «والله العظيم» .. كنا صامدين ، وكان معى خريطة المدفعية ، من يحصل عليها ، فيها كل حاجة ، قمت بتمزيقها ، شعرت أن الموت قد حل ، وقد طوقنا ، فإذا «مت» قد يحصلون على هذه الخريطة التى تتضمن «سر المعركة» .. بحثت عن عادل يسرى ، كان نايم فى الأرض يعطى أوامره ، جاءت دبابة ، كانت تضرب فى اتجاه عادل ، هناك عسكرى مشاة ربنا ألهمه فضرب على هذه الدبابة بـ «أر بى جى» وأقول «أن هذه الطلقة» غيرت سير المعركة !! ولعت الدبابة ، وانطلقت من الحناجر «الله أكبر» نط اليهود مسكوهم عساكرنا !

بعد حرق هذه الدبابة ، الناس «أخذت ثقة أكثر» ، واحتلينا التبة ، الدنيا أصبحت «ليل» حوالى منتصف الليل ، ظهرت مخلفات المعركة ، دخان ، رصاص ، قتلى يهود شهداء مصريين ، أنين جرحى .

كان عليّ أن أعود إلى مركز ملاحظتى الأساسى الذى يبعد كيلو متر و٨٠٠ متر من القناة ، ناديت على العميد عادل يسرى ، وعندما حاول القيام من على الأرض ، فوجئت أنه أصبح برجل واحدة» !! بترت الثانية ، لم أعرف أحد على الاطلاق من العساكر والضباط أن قائد اللواء أصيب ، لو عرفوا لأصيب اللواء بالكامل بالذعر !!

وعادل زميل دراسة قديم ، ووالده كان زميلا لوالدى .. كيف إذن نعود بعادل دون أن يعرف أحد !! حملناه إلى سيارة نصف جنزير ، ووضع أحد الضباط الموثوق فيهم «رجله» بجانبه فى السيارة ، والرجل ينزف ، كنا نضع رمل عليه حتى يتوقف النزيف ، أحد العساكر خلع أفروله وقطعه ، وربط به رجل العميد عادل .

جاء ضابط صغير «استطلاع لواء» ومعه عسكرى ، تحرك العميد عادل ، إلى أن وصل إلى الفريق عبد ربه !!

وكـان البــلاغ الذى وصل القيـادة أن : العـمـيـد عـادل يســرى استـشـهــد ، وأن العـقـيــد عـصـام الجـوهــرى مفقـود !!

وأود أن أقول للتاريخ .. مدى عظمة العسكرى المصرى ، عندما تحركنا كان معنا جهازين لاسلكى ، قلت للعسكرى : بلغ عن حاضر ، قال يا أفندم الموقع لايرد '

قلت استخدم الجهاز الثاني ، قال :

البطارية سقطت مني ' لكن عدنا للاتصال ، ردوا علينا ، معنى الكلام ده .

قـيـمـة العـسكرى ، وقـيـمـة المعدة ، وهناك رباط قـوى بين العسكرى وقائده .

إضـافـة إلـى هـذه الرابطـة المعنويـة والعـاطفـيـة الكبـيـرة التـى كــانـت بين الجـمـيـع ، بين صـغـارهـم وكـبـارهـم ، بلا مزايدة !

□□□

بــدأت المعـركـة في الهــدوء .. كـانت السـاعـة الواحــدة صباحا ، كانت «زمزمية مياهـى» قد انتـهت ، كان بجوارى

ضابط صغير اسمه «حسن» ، كنت عطشان ، وكان على شمالى «الوردانى» قلت تعبت ياوردانى !!

قال لى أنا يا أفندم جاى من الخلف حضرتك يمكن أن ترجع ، فى هذا الوقت كان ضابطا يبحث عن العقيد عصام الجوهرى .. باعتبارى مفقود .. قالوا له .

سيادة العقيد كويس ، فى الكتيبة التى فى الوسط !!

لكن كان بين الجميع «قلق» اليهود سيأتون من هنا ، أو من هناك ، هنا على القائد أن «يتصرف» لبعث الثقة .

رأيت بعض الضوء ، قلت لكل قائد سرية أن يضرب ، كانت النتيجة أن الجميع اطمأن ، ونحن فى مواقعنا !!

المهم :

أنا مازلت عطشان ، قلت لواحد من الجنود ، أنا عطشان، وأنا باقول ذلك بعد كل هذه السنين من الحرب ، ناولنى الزمزمية ، قمت بهزها ، لم أجد فيها مايملأ غطاها !!

وكان العسكرى عطشلان ، قلت له ضاحكا :

من سيشرب أنا ولا أنت ؟!!

قال :

والله ياسيادة العقيد أنت ستشرب لأن سيادتك «مش لأنك العقيد» لكن علشان المدافع والذخيرة !

شوف الرابطة القوية بين الجميع " قلت لا أبدا ، مسحت شفايفى بقطرة أو قطرتين وأعطيته الباقى ليشربه "

معاملة الأسير..كيف؟!

ومازال العميد عصام يتذكر :

بعد أن انتهيت من مهمتى ، وفى يوم ٩ أكتوبر وأنا عائد إلى الحد الأمامى للقناة ، وأعطيت إدارة النيران لقادة السرايا والكتائب ، وكان ذلك فى أول ضوء ، وجدت الدبابتين اللتين احترقتا والتى حسمت بهما معركة (٨ أكتوبر) وجدنا واحد يهودى نازل من الدبابة وسلم نفسه !!

وكان ملازم أول ، النقيب عصام يوسف «الآن عقيد» وضع على عينيـه «غمامة» وأخذناه إلى مركز الملاحظة الرئيسى ..

طبعا لن أقول ماحدث معه !!

كان الإسرائيلى «فى حالة رعب» وكان حاسس بل وقالوا له أن «المصريين ناس همج» !!

«اللى هايقطع يده ، أو رجله» !!

العساكر قالوا :

«ده مش راجل يا أفندم .. لأنه كان عامل خنفس» !!

أخـذته إلى مـركـز الملاحظة ، أتلمـوا الناس يشـوفـوا اليهودي، راجل عادى جدا ، مش حكاية الجيش الذى لايقهر، هم عاملونا معاملة سيئة فى ٦٧ ، لكن تذكرت جيدا معاملة الأسير ، قال لى أنا عطشان ، فأعطيته ماء !!

قال مرة أخرى :

إبعد هؤلاء الناس عنى ، فأبعدتهم !!

جلس بجانبى إلى الصباح ، سألنى :

لماذا تحارب ؟

قلت :

أسألك أنت ، قال مش عارف ، قلت :

أنا أحارب علشان بلدى ، وأرضى ، وأنتم أخذتم أرضى ، وهذا هو الفارق بيننا وبينكم !!

قال :

أنا لى طلب !

قلت :

ماهو ؟

قال .

لا تتركنى لهم !!

لقد شعر بالأمان معى .

ثم قال

أنا واحد من قادة السرية من الكتيبة التى هجمت عليكم عند التبة ، وهدفنا الأساسى كان الوصول إلى معبر «الدفرسوار» ، وعندما لم نستطع أن نصل له .. هناك خطة تبادلية ، ولأنك عاملتنى «كويس» سأقول لك - وأؤكد أننى لم أقل ذلك من قبل والكلام للواء عصام !!

يستطرد اللواء عصام :

قال لى الضابط الإسرائيلى .

خلى بالك من الجانب اليسار للواء !!

عرفت من الكلمتين دول احتمال هجوم من ناحية اليسار فى أول ضوء ، قلت لرئيس عمليات اللواء .. شوف هاتعمل إيه!!

كان معى عبدالعاطى صائد الدبابات ، وركزنا على الجانب اليسار للواء .. كانت الساعة الثالثة صباحا ، أبلغونى فى ذلك الوقت أن هناك أصوات جنازير فى الجانب الأيمن ، كم تقدر قوتهم ؟

احتمال سرية مشاة ، توقعت أن يكون الإسرائيلى كذاب ، وأعطيت أوامــر بالضــرب المضىء .. وضــربنا ، وتم صــد الضــرب ، أفـاجـأ فى أول ضـوء ، بأنـهم بلغـونى بـأصـوات جنازير على الجانب الأيسر .. !

كتيبة دبابات (زى ماقال لى الإسرائيلى) !!

□□□

بدأت فى التركيز بصواريخ فـهد ، مع ألغام ، بدءوا فى الاقتراب ، وأود أن أتحدث عن «العمر» .. فقد جاء لى ضابط قائد سرية وقال أنا مش شايف الجانب الأيمن ، أنقلنى إلى الجانب الأيسر !!

وكان أول واحد يستشهد فى هذا المكان ..

لما هجمت الدبابات تضرب ، أوقعنا هذا الهجوم ، لكن هناك دبابة «أفلتت» !!

وكان داخل بسرعة شديدة ، قلت وأنا فى «حفرة برميلية» أشـهد أن لا إله إلا الله .. لقد دخلت الدبابة فى المسافة «الميتة» للصواريخ» .. ضرب الصاروخ لايفيد ، إنما «الولد عبدالعاطى ربنا يعطيه الصحة» يقولى يا أفندم هاضرب ، وربنا هايوفقنى !!

تصور أرواح لواء بالكامل ، الولد بدلا من أن يضرب فى خط مباشر ، ضرب بطريقة يسبق بها مدى المنطقة الميتة ، وفعلا ضرب الدبابة ، لذلك أقول لك «عسكرى يغير سير معركة» !!

الله أكبر ، الله أكبر !!

وده يجعلك ترى «التدريب والرباط مع الله .. يغير معركة بالكامل» ..

□□□

جاء لى أمر ثان أن أتحرك من المحور الأوسط (معركة الدبابات) إلى منطقة اسمها «القرية الصينية» الحد الأيمن داخل الفرقة (١٦) ، وكان المفروض أن تخرج منها فرقة مدرعة للهجوم .. ومهمتى أن أدعمها!!

فتحركت عرضيا ، حوالى ١٤ كيلو ، وكان ذلك يوم ١٤ أكتوبر ، حتى الدفرسوار وتل سلام ، قال لى قائد الفرقة «بلغ عن حاضر» بعد أن أعطيته التمام (الذخيرة ، عدد الجنود ، البنزين) وقال لى مرة أخرى (سنهجم فى اتجاه الطاسة) فى العمق (٣٠ كيلومتر) .. قلت له الناس تعبانة !!

جابوا الذخيرة ، وفي أول ضوء بدأنا نضرب أول قذيفة ، هجمنا ، وحصل ضغط ، قال لى العميد أبوشادى فيه أربع دبابات ، أشتبكنا ، العسكرى فتح جهاز تقدير المسافة ، وضربنا ، وقفت الدبابات ، نظرت إلى العميد أبوشادى ، وهو يراقب النيران ، جاءت شظية فيه ، وكانت (هذه النقطة أقوى نقطة لليهود فى الشرق) ، رجعت مرة ثانية إلى «أبو وقفة» !!

الدفرسوار

قالوا «العاصى واحد» على الجهاز ، وكنت بوصفى قائدا للمدفعية ، أو العاصى واحد أن أتلقى الإشارة «شخصيا» ، أخذت تعليمات أن أضرب على الدفرسوار ، وكنا على عمق كبير ، كنا نطولها ، وهنا علينا أن نغير المدفعية (١٨٠ درجة) .. وكلمة ألف المدفع يأخذ وقت ، الالتزام بالتعليمات وتنفيذ ماتعلمته ، ياجماعة خذوا بالكم !

(أعطيت تعليمات بأن يلفوا الدبابات بالكامل) ، وأبلغتهم «العاصى ، حاضر» !!

اضرب ، بدأنا نضرب على الدفرسوار ، بأقصى معدل ،

وعندما قلت على الجهاز العاصى يتكلم ، رد علىّ واحد وقال أبطل الضرب ياكذا !!

عرفت أن اليهود دخلوا فى الخط "

قلت أرقام معينة ، لم يعرفوا .. كان نفسهم أن أتكلم معهم"

وكانت الثغرة !!

□□□

٤

فى الإسماعيلية:

احتضنوا المقاتلين وتعرضوا للموت!

❑ الإسماعيلية .. مدينة رقيقة .. باسمة .. ثانى مدن شط القناة .. المشاركة دوما بإنسانها فى التراجيديا ، التى صنعتها ظروف المكان والزمان ..

وإذا كانت سيناء ميناء بوابة مصر الشرقية ، فقد كانت أرض الإسماعيلية متداخلة مع سيناء قبل شق قناة السويس، لذلك فهى النطاق الأوسط ، والمثلث الشمالى للصحراء الشرقية ، ولم يكن بها سوى البحيرات المرة الكبرى والصغرى ، وبحيرة التمساح ، التى كان يعيش على شواطئها بعض القبائل العربية التى تشتغل بالرعي والصيد ، وتعتبر أرض الإسماعيلية مفتاح هذه البوابة .

والثابت تاريخيا أن أرض الإسماعيلية قد عبرها العديد من الأجناس قبل الميلاد ، سواء القادمة من جهة الشرق ، أو الشمال الشرقى ، ثم الغزو التركى ، كما كانت - هذه الأرض - مسار للأنبياء والرسل ، فقد مر بها أبو الأنبياء إبراهيم وزوجته سارة ، ومن بعده يوسف وأمه ، ثم يعقوب حين أرسل إليه ابنه يوسف عليهم جميعا السلام .

وتتعاقب صفحات التاريخ في هذه المنطقة ، إلى أن جاء الفتح الإسلامى ، ودخول عمرو بن العاص وجنوده مصر ، متخذا طريق سيناء ليصل إلى العريش ، ثم يحاصر مدينة الفرما .

ويأخذ تاريخ الإسماعيلية شكلا «متصاعدا» بحفر قناة السويس فى ٢٥ أبريل ١٨٥٩ ، بينما ١٨ نوفمبر ١٨٦٢ ، فقد شهد هذا اليوم تدفق مياه المتوسط فى بحيرة التمساح ، وفى ١٨ مارس ١٨٦٩ تم وصل البحر المتوسط بالبحيرات المرة ، وفى ١٥ أغسطس تم افتتاح القناة للملاحة فى ١٨ نوفمبر ١٨٦٩ .

وبحفر قناة السويس وما تلاه من أحداث ، تشكل فصولا من ملحمة الإنسان العربى فى مصر ، فى صراعه مع القوى الاستعمارية ، حيث تكلف المصريون - مبدئيا - فى الحفر معاناة ١٢٥ ألفا منهم ، تداخل عرقهم مع دمهم مع دمعهم ، فى تراجيديا ، سجلها التاريخ بأحرفه ، ليقول دوما :

البقاء لأصحاب الحق ، والأرض ، والعرض .

لذلك :

فإن الإسماعيلية بصورتها الحالية ، كانت كمدينة نتيجة لمشروع ربط البحرين الأبيض والأحمر عن طريق قناة السويس ، وهو المشروع الذى حل محل القناة القديمة ، التى كانت تربط بين البحرين عن طريق قناة النيل ، وقد قامت بالفعل – هذه المدينة – مع افتتاح القناة العالمى للملاحة عام ١٨٦٩ ، حيث شهد هذا الافتتاح ملوك العالم ورؤساؤه ، وظلت القناة عبئا على مصر بعكس ما كان مستهدفا منها ، وصارت مطمعا للدول الغازية خاصة بريطانيا ، التى أصدرت أمرا بأسطولها باحتلال كل من بورسعيد والإسماعيلية ، فى الوقت الذى لم تجد فيه «المقاومة» نظرا لخيانة خديوى مصر آنذاك ، التى مهدت لدخول الانجليز الإسماعيلية ، وعلها أكبر قاعدة بريطانية فى الشرق الأوسط، ثم تجدد النضال مرة ثانية لتعود الإسماعيلية إلى أحضان أمها «مصر» فى العام ١٩٥٦ .. ليكتب فصلا جديدا من فصول تراجيديا الإنسان المصرى على شط القناة .

والإسماعيلية كانت تعرف قديما باسم «قرية التمساح» وسميت بالإسماعيلية .

وقد ارتبط اسم الإسماعيلية بجميع معارك التحرير التى خاضتها مصر ، وفى الخامس من يونيو ١٩٦٧ تعرضت فى ذلك ، شأنها التوأم «بورسعيد والسويس» للعدوان الإسرائيلى ، وكانت مركزا للهجوم حيث تعرضت لنيران العدو اليومية طوال حرب الاستنزاف ، مما أدى إلى هجرة أهاليها وناسها إلي مختلف المحافظات ، حتى معركة السادس من أكتوبر ١٩٧٣ .

ولأكتوبر وقع خاص فى الإسماعيلية ، ففضلا عما تم انجازه فى العام ١٩٧٣ ، فإن العام ١٩٥١ قد شهد فى اليوم السادس عشر من هذا الشهر اندلاع الشرارة الأولى لحركة المقاومة الشعبية ضد الانجليز ، حيث خرجت أول مظاهرة من طلبة المدرسة الثانوية والتى طالبت بتحرير أرض القناة وطرد الانجليز .

أما فى اليوم الخامس والعشرين من يناير ١٩٥٢ ، فقد ارتبط بتضحيات «الإسماعيلاوية» مع إخوانهم فى جهاز الشرطة ، حيث اشتعلت الثورة ضد الغاصب ، وقد احتلوا مبنى المحافظة ، وقامت معركة ضارية برغم عدم

التكافؤ التسليحى بين العدو وأبناء الإسماعيلية وجهاز الشرطة .

وتتوالى الأحداث الدرامية ، وفى قلبها الإسماعيلية ، بدءا من العام ١٩٥٦ ، ووصولا إلى الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، ثم الفترة الزاهية فى تاريخ الإنسان المصرى ، الذى أكد قدرته على المقاومة الذاتية المتنامية داخله ، حتى كان السادس من أكتوبر ، فأحداث الثغرة ، ثم التفاوض ، وصولا إلى مانحن فيه الآن .



شهادات

ولآن التاريخ تكتبه التفاصيل الصغيرة، وينسجه نضال الناس، ليس بالمدفع فقط، بل بالعزيمة والاصرار، والصمود ، وذلك ما تشهد عليه أحداث الاسماعيلية، شأنها في ذلك شأن شقيقتيها "بورسعيد والسويس" .

وفي التفاصيل اليومية، ثراء لأي باحث عن التاريخ الإنساني .. لذلك وخلال هذه الفترة «٦٧ - ٧٣» هناك آلاف التفاصيل ، التي سيذكرها التاريخ لناس هذه المنطقة .

وشهاداتنا (إنسانية بسيطة ، سهلة التفاصيل ، لأناس طيبين ، أصروا على البقاء على هذه الأرض المخصبة بالدم).

وقد حرصت ألا أتدخل في صياغة أفكارهم، بل تعاملت مع كلماتهم البسيطة بكل حماس ، لأنها تحمل الصدق ، كل الصدق الذي نفتقده هذه الأيام ! .

الشاهد الأول
حسن محمد

«الشهير» بحسن سمك مقاول

كنت أعمل فى شركة التمساح، وهى آخر شركة صفت أعمالها هنا – فى الاسماعيلية – بعد عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ .

ورغم التهجير إلى القاهرة ، فأنا هنا بشكل مستمر.

أنا هنا من أيام العدوان .

– أى عدوان ؟

– عدوان ٦٧ .. أما النصر فقد كان فى ١٩٧٣ .

– ما شكل الإسماعيلية قبل السادس من أكتوبر؟

– الناس ملت من الهجرة .. وعاد معظمهم إلى هنا سرا!! بالرغم من عدم توافر المواد التموينية ، أو الخبز، أو غيرها من متطلبات الحياة. لكن الناس رجعت تانى !.

لم يكن فى الإسماعيلية سوى «فرنين للخبز» ومع ذلك الناس موجودة ، وعايشه ، ورافضه أن تعود «للتهجير»!! ..

أولاد البلد لهم بيوت ، وعفش، كانت «الرجل بسيطة فى البلد» .

لكن رائحة البلد بتهفهف على ناسها ، علشان كده كانوا موجودين .

في ٦ أكتوبر ، كلنا كنا حاسين إننا هانعمل حاجة ، وفعلا ، الجيش عمل اللى عليه ، وقدر يرجع لنا الكرامة والأرض ، والإسماعيلية من بعدها عايشه فى أفراح مستمرة !!.

□ماذا كنتم فاعلون فى المقاومة الشعبية ؟

□□ أنا وزملائى كنا نقوم بالحراسات علي البيوت فضلا عن تنبيهنا للذين يضيئون منازلهم. كنا نطلب منهم إطفاء هذه الأنوار، مكنتش ماسك مدفع وباحارب ، إنما للأعمال المدنية والإرشادية ، الجيش إذا كان عاوز أى مساعدة، كنا نعاونه ونقدم له مايحتاجه .

الشاهد الثانى

عطوان إسماعيل (موظف)

العام ١٩٦٧ .. يختلف بطبيعة الحال، عن العام ١٩٧٣. فالمدينة بوجه عام - أى الإسماعيلية - تتوسط مدن القناة الثلاث ، هدوء عادى، المواطنون عايشين ، الى أن داهمهم ٥

يونيو ١٩٦٧ ، فلم يكن أمام شباب الإسماعيلية سوى أن يجند نفسه فى المقاومة الشعبية، للحراسات على المنافذ ، والكباري ومعاونة القوات المسلحة خاصة فى عمليات الإسعاف ، جندت الفتيات فى التمريض بالمستشفيات .

كنا صامدين ومستعدين بحيث لو أن العدو فكر فى عبور القناة كان سيجد مقاومة شعبية من شعب الإسماعيلية، لأنه معروف عن الاسماعيلية من حروب سابقة ، أن لديه خبرات فى المقاومة سواء فى ٥١ ٥٢ ١٩٥٦ .. لذلك فإن الشباب كان مستعدا للقاء ، كما أن أجدادنا بدلا من الخوف علينا، كانوا يبثون فينا روح المقاومة والنضال .. لقد كان معظمنا فى ذلك الوقت فى العشرينات من العمر ..

وأؤكد .. أنه كان يوجد هنا جبهة متماسكة من المقاومة الشعبية. بتحافظ على المرافق الهامة (محطة المياه، محطة الكهرباء ، مداخل المدينة، المبانى، البيوت) . فضلا عن التعاون مع رجال القوات المسلحة، وكنا مابعد ١٩٦٧ عاوزين نثبت للعالم كله أننا قادرون علي النصر .

الكلام الإسرئيلى الخاص بأن خط بارليف لا يقهر، الواقع أنها كانت «إشاعة» كبيرة ، وهنا على هذه الأرض،

كـان علينا الالتـحـام والصــمــود بأى وسـيلة لتكذيب هذه «الإشاعة» .

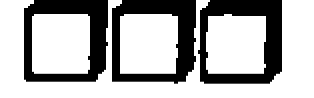
ربنا أكرمنا فى ١٩٧٣ .. وعلشان كده، الصورة اختلفت تماما عنها فى النتائج عن ١٩٦٧ والغريب حقا.. أنه بعد العبور فى ٦ أكتوبر بست ساعات فقط.. كان أهالى الإسماعيلية المهجَّرين ، يتدفقون على المدينة والبعض عاد «بعفشه» ..

الشعب الإسماعيلى رجع لأنه كان عاوز يشارك جيشه فى النصر ..

بعد انتهاء المعارك ، لم ينته دور شباب المقاومة الشعبية، بل بدأ فى تنظيف المدينة من مخلفات الحرب (إصلاح مواسير المياه، مساعدة المهجَّرين فى تسكينهم فى منازلهم) .

اسمح لى أن أعود معك إلى ما قبل ٦ أكتوبر . ما شكل أحاسيس الناس ومشاعرهم ، ما شكل حياتهم اليومية ؟

– إحساس الناس كان واحدا، كان الأمل واحدا فى النصر، وفى العودة وفى التعمير ، كان هناك رابطة قوية، كنا مصرين على تحقيق النصر، هجرنا البنات والستات، لكن الرجال والشباب استمرا هنا، مش ممكن نترك الإسماعيلية ، التحمنا من أجل الصمود، ليعود مرة أخرى من خرج منها ..



الشاهد الثالث

محمد مصطفى عبد الله (فلاح)

لم نترك هذه المنطقة حتى العام ١٩٧٣ ، نتعاون مع الجيش.. كان عندنا «تليفون » كان يأتي إلينا في ١٩٦٧ .. من يريد أن يتصل ببلده من العساكر، يتصل مجانا، حتى يطمئنوا أهاليهم ..

لنا أرض في البلد ، إحنا قريبين من الدفرسوار ، ظللنا فيها إلى أن جاء اليهود، الاستشهاد في سبيل الله ثمنه غالي .. والله تمنيت الهشادة وأنا راجل أعرف ربنا، وحافظ القرآن ، هذا هو السبب اللى جعلنى استمر في المنطقة «الشهادة في سبيل الله والوطن» .

كنا نتعاون مع الجيش تعاون كامل ..

☐ إذن ماشكل هذا التعاون ياَمولانا ؟

– في موضوع «الأكل» .. كان لدينا الأكل والمواشي واللبن بكميات وفيرة والحمد لله ، ومقابل الأكل، كانوا يدربوننا على استخدام كافة الأسلحة ، بحيث نكون خلف

الجيش، لقد تدربت علي الأسلحة الآلى ونصف آلى ومدفع بورسعيد والقنابل اليدوية ..

كنا نتدرب لاستخدام السلاح، لكن لم تأت الفرصة لاستخدامه ولو كان طلب منا المشاركة المسلحة، كنا شاركنا ، لأنى كما سبق وقلت كنت أتمنى الشهادة فى سبيل الله .

□ فيما يتعلق بروح الناس.. كيف كان حالهم بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ . وحتى نصر ٦ أكتوبر ؟

- لما حصلت النكسة.. والجيش رجع «طافش» كانت مهزلة !! كنا متضايقين ، ولدينا شعور كبير بهذا الضيق، وعلشان كده ساعدنا الجيش ، وكان لدينا شعور بأن الحرب قادمة، ولدينا إيمان بالله سبحانه وتعالى بأنه سينصرنا ، ودول يهود ، وإذا كانوا انتصروا مرة ، فمش هاتعود !! كان الأمل كبير فى الانتصار .

العائلات هنا مترابطة مع بعضها من الجناين فى السويس لغاية بور سعيد، بينها صلة دم ونسب ، لذلك كان هناك ارتباط معنوى بين الناس وبعضهم البعض.

واذكر قبل العام ١٩٦٧ .. أننى كنت أمتلك سيارة نقل كبيرة ، كنت أنقل عليها معدات كبيرة للبر الشرقى (فى

سيناء) .وكم كان حزنى وألمى، لما وجدت هذه المعدات قد استولى عليها اليهود وساعتها قلت عوضنا على الله ..

وعموما الجهاد فى سبيل الله لايخضع لسن، حتى لو الواحد عنده ١٠٠ سنة .. مفروض عليه الجهاد فى سبيل الله من أجل الوطن.

وأود أن أقول : أن الله سبحانه وتعالى عندما نظر إلى قلوب المؤمنين وجد أن فيه إخلاصا وتعاونا.. والله ينظر إلى «الأعمال».. ولاشك إذن أن الله وقف معنا، ولم يهن فى بلاد الجمهورية ، أى لم يحدث لها، كما حدث لمدن القناة لأننا على حافة القناة من جهة البر الغربى ، واليهود علي البر الشرقى !!.

وأوضح بيننا وأرضنا على حافة القناة ،، واليهود نازلين «دك» .. كنا عاملين «جربين» أى خندق أمام البيت، وفى الليل ندخل العيال فى «الجربين» ... وفى النهار كنا نسعى من أجل الرزق .

كنت موجود أيام الحرب ، وإحنا كنا قريبين من الثغرة ، لأن بلدنا فى «هويس سرابيوم» ومفيش امتار بينها وبيننا ، ولولا «الثغرة» ولولا «أمريكا» تدخلت ، لكنا «ولا

مـؤاخـذة» احـتلينـــا اليـهـود فى ٣ أيام ، ده اللى تصـورته ، واللى شفته !! ..

لذلك لولا أمـريكا بثـقلهـا وطيـراتـهـا ودباباتـهـا ، وكنا بنشوف بأعيننا فى جبال سرابيوم طيران أمريكا وهو بينزل الدبابات منها، إذن : أين نذهب ؟ هل هـانحـارب أمـريكا؟ .. طب كانت تسيبنا أسبوع واحد على اليهود، شوف إيه اللى كان هايحصل !! ..

كفاية نقول «الله أكبر» ..

□ حـاج مـحـمـد : هل رأيت حـالات بطوليـة من الناس فى هذا الوقت العـصيب كـأن يضع أمـامـه «الشهادة» من أجل الوطن ؟

– طبـعـا !! الشـبـاب كله .. كـان كل يوم تدريب، وفي الثغرة ، كان الجيش يمد الشباب بالقنابل ، وبعد «أبو عطوة» بشـويه ، ورغم الحرب والموت ، كنا لازم ننزل الإسمـاعيليـة ، ولما نزل اليهود فى الثغرة ووصلت دباباتهم فى الجبل ، كان لنا طريق يوصل من سـرابيـوم إلى طريق المعـاهدة الموصل للسويس ، وفى يوم كان معانا «جدع» شـاب.. كان فيه عربة

جيب فيها إسرائيليين .. وقالوا له ارمى البندقية لأنها كانت معه .

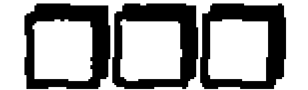
قال لهم : ده سلاحى ولن أرميه ، ضربوه طلقة فى «بطنه» ، وبالرغم من أن «كرشه» نزل ، رفع البندقية وقتل «أربعة» منهم . ربطنا بطنه «بالعمة» ومشينا ٨ كيلو ، كنا فى رمضان ، حاولنا إعطاؤه «شوية ميه» رفض ، وقال : أنا صايم ، وبعد أيام قليلة توفى ..

□ ما اسمه يا حاج ؟

□□ حلمى حسن علام .

وهناك حالات كثيرة : محمد مصطفى الغزلاوى، كان راجل حافظ كتاب ربنا، كان محمل ذخيرة فى أكياس وشايلها فى عربيته ، ضربه اليهود ومات فى الحال ! .

الحقيقة : الحمد لله شباب هذه المنطقة وأهلها روحهم عالية جدا، وهذه ليست أول مرة نحارب ، ١٩٤٥ ، ١٩٥١، ١٩٥٢، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ومنطقتنا كانت دائما معرضة للحرب، علشان كده تولد لدى الناس «مناعة » ضد «الاستسلام» وشربوا روح المقاومة .



الشاهد الرابع

عبد الوهاب محمد (موظف بقرية سرابيوم)

الحقيقة .. الشعب المصرى ليس من الوقت الحالى يعرف هذه البطولات وهذه التضحيات ، ولكن منذ زمن بعيد ، عندما فتحت على يد عمرو بن العاص ويعرف أن الذين يقتلون فى سبيل الله إنما هم أحياء عند ربهم يرزقون .

التلاحم بين الشعب والجيش كان واضحا ، ولا أقول رائعا ، لأن إيمان الناس هنا بأرضها وجيشها فاق الحدود ، لدرجة أن «التعيين» أى «الطعام» الذى كان يأتى للتوزيع على الناس كانوا يتنازلون عنه للقوات المسلحة.

كانت هناك تضحيات كثيرة، وإن كانت منطقة الحرب لا تدعو للمشاهدة أو «الفرجة» بقدر ما تدعو «للمشاركة» .. وكانت هناك تضحيات خاصة فى سرابيوم، وكانت أفراد خاصة، أوقفت المسيرة العسكرية الإسرائيلية التى وصلت الدفرسوار ، ولم يمكنوها من المواصلة حتى سرابيوم!! أو الإسماعيلية .. وحاولت أربع دبابات إسرائيلية المرور للوصول إلى الإسماعيلية ، التى إذا سقطت أصبح الطريق مفتوحا

للقاهرة، لكن «فردين» أوقفا مسيرة هذه الدبابات حيث استطاع أن يحصدوها بمدافع «أر بى جى» .

وطبيعى أى إنسان يعتز بمسقط رأسه.. وذلك بشكل عام ، فضلا عن الإعتزاز بالأرض والديار، وذلك ينسحب على مواطنى مدن القناة شديدى الاعتزاز بأرضهم ، ومدنهم ، وناسهم وذكرياتهم ، وأن هذه أرض المنطقة منذ القدم ، اختطلت بالدماء! وذلك هو السر وراء تمسك الشخصية الاسماعلاوية بالأرض ، وزادها هواياتهم «الشديدة» فى المقاومة .

الشاهد الخامس

فتحية على نجم الدين (فلاحة وربت بيت)

فى حرب ١٩٦٧.. واحنا عايشن فى بيوتنا وأرضنا على شط القناة فى هويس سرابيوم ، كانت العساكر «بتصعب » علينا ، لذلك كنت باعمل لهم الأكل مخصوص، فراخ وأكل كويس .. وكنت دائما أقول لنفسى بكره ولادى يكبروا ويبقوا عساكر زيهم !!

□ **يعنى يا حاجة - الدافع لمساعدة العساكر، هو إنك أم ؟**

- طبعا أنا أم .. كنت بافكر أن أولادى هايكبروا .. ويبقوا عساكر، يبقى لو حصل لهم حاجة يلاقوا اللى يساعدوهم !!.

الستات هنا فى المنطقة ، عندهم شجاعة كبيرة، لا يخافوا من شئ أما فى ٧٣ انتصرنا ، علشان احنا تركنا هنا فى سنة ١٩٧٢ «بس» .. هجرنا فى الزقازيق ، ولما انتهت الحرب، رجعنا على طول لبلدنا هنا فى هويس سرابيوم ، ولم ننتظر أن الحكومة تقول لنا ارجعوا .. رجعنا بيوتنا .. وزرعنا أراضينا تانى ..

الشاهد السادس

علية محمد مصطفى (ربة بيت)

فى زمن الاستنزاف ، كنت فى الإعدادية ، أى كان عندى ١٥ سنة ، وكنت ألاحظ أن الأهالى كانوا مع الجيش، حاسين أن دول أولادهم ، وخايفين فى نفس الوقت على بلدهم ، فكان

بكل ما يملكون بيساعدوا الجيش ، اللى عنده أى حاجة كان بيقدمها، لدرجة أن أراضى وجناين الأهالى قدموها للجيش ، يمارس منها عمليات الحرب ، الشجر حامى الجيش، وكنا راضيين .

الستات فى هذه الأيام قاموا بالتمريض فى المستشفيات، وذلك بالمجان ، كانوا بيساعدوا المصابين ، تركوا بيوتهم وأولادهم ، وراحوا يساعدوا الجيش .

الستات أوصت أولادها بالحرب لأن الموت فى الحرب هى شهادة فى سبيل الله ، ويمكن نقول أن سيدات القناة عبارة عن «خنساء» جديدة !!

الشاهد السابع

شافعى عبدالمجيد

(موظف من أبو عطوة - الإسماعيلية)

فى ١٩٦٧ كان سنى صغيرا، حوالى ١٥ سنة ، والدى فلاح ، وعندنا أرض ، فوجئنا أيامها بالحرب ، ولأن غرب القناة فى هذه المنطقة التى تمتد نحو ٩٠ كيلو إلى السويس ، وبعرض ١٠ كيلو مترات ، ساعدت الجيش على

الاحتماء فى الأشجار ، وتبدأ فى مقاومة اليهود ، وذلك أيام حرب الاستنزاف ، لكن اليهود بدءوا يضربون بالطيران ، لذلك كانت المقاومة ، من هذه المنطقة ، من تحت الأشجار .

ما قبل حرب أكتوبر كان القصف وضرب المدينة قد اشتد ، فهاجرت الناس (خاصة السيدات والأطفال ، أما الرجال والشباب فاستمروا هنا ، مشاركين فى أعمال المقاومة ، كما أن أغلب المزارعين استمروا فى أراضيهم) .

لقد شعرنا قبل الحرب بقليل ، أن الجيش يستعد من وسط الجناين ، عمل ستائر ، الدبابات تحت الأشجار ، حسينا بأن شيئا ما سيتم !!

فى ٦ أكتوبر ، فى ضربة الطيران المصرى الأولي على الشاطئ الشرقى ، هللنا : الله أكبر ، الحريم زغردوا ، الرجال كانوا يقطعون المزروعات والفاكهة ويلقون بها فى سيارات الجيش ، كانت الإعلانات صحيحة ، بل ونشاهدها بأعيننا ، إلى أن تدخلت أمريكا ، وحدثت الثغرة ، وكان بيننا وبين الثغرة حوالى عشرة كيلو ، ولقد حصل ارتباك بين المزارعين والشباب ، وبدأ الضرب فى مناطق متعددة ..

وبدأت المقاومة ، القناصة ، التحام الشعب مع الجيش .. أغلب الفلاحين أخذوا مواشيهم وخرجوا على طريق الجبل .. استطاعت المقاومة والقناصة أن توقف زحف الدبابات الإسرائيلية عند منطقة أبو عطوة ، على بعد ٨ كيلو مترات من الإسماعيلية .

كان من الصعب أن أترك أرضي وبيتى ، لازم أدافع عنه، وعلشان كده ، استمر الناس هنا .. كنا بنعطى إنتاج الأرض – طواعية – للجيش .. وده سر شخصية «الإسماعيلاوية» المدافعة والمقاومة .

الشاهد الثامن

فوزى حسن (عامل تليفون)

هجرنا الستات أيام الاستنزاف ، وبدأنا كرجال نخدم نفسنا بنفسنا ، لما حصلت المعركة – كان معنا سلاح – وكنت واخد موقع دفاعى فى الشهداء ، طريق بورسعيد، وكنا مستعدين فى أى لحظة للالتحام ، البلد كلها كان فيها روح تآخى ، لو حصل أى حاجة ، الكل يسأل عن الآخر .

ظللنا هنا إلى أن استشهد المشير عبدالمنعم رياض ، أما

موقعة ١٩٧٣ ، وصلوا إلى أبو عطوة ، وكسرنا دباباتهم وأوقفناهم ، وإللى أوقفوهم «اثنين» فقط من تحت شجر أبو عطوة .

أما فى موقعى - منشية الشهداء - كنا ثلاثة .. النائب أحمد أبوزيد ، ومحمد فائق عزب ، وهو ممثل الآن ، وأنا ، وكنا نذهب لنحمل الذخيرة ، ونتعاون مع القوات المسلحة .

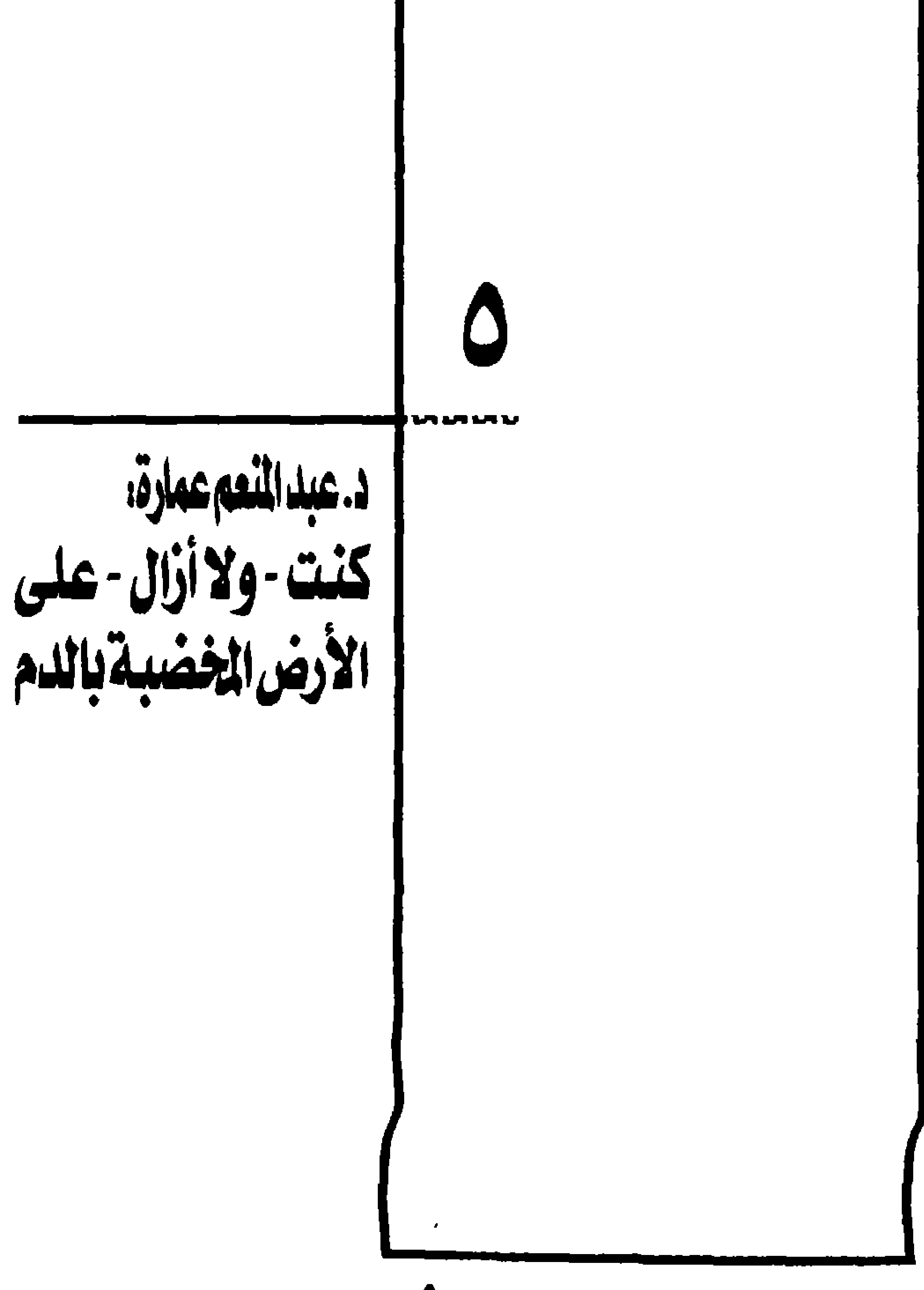
الشعور والانتماء للوطن ، جعل الجميع يضحى ، ولم أترك الإسماعيلية منذ عام ١٩٥١ وحتى الآن .

كنا بنحلم بالمساعدة اللى نتخلص فيها من اليهود ، كانوا قاعدين أمامنا فى البر الشرقى ، فاتحين ميكروفوناتهم علينا .

أنا لم أترك الإسماعيلية ، لأننى زى السمكة ، إذا خرجت من البحر تموت !! الأفضل والأشرف لى أن أموت على هذه الأرض !!

□□□

وذلك حال الناس جميعا ، وهذه العينات العشوائية ، البسيطة ، للناس البسطاء الذين يقولون دوما كلمتهم لأجل التاريخ ، والذين تقشعر أبدانهم عندما يقولون : الله أكبر.



٥

د. عبد المنعم عمارة:
كنت - ولا أزال - على الأرض المخضبة بالدم

أنت في حل من أن ترتدى «حلة كاملة ورباط عنق» .. وأنت في طريقك للقاء الوزير عبدالمنعم عمارة محافظ الإسماعيلية السابق ، فالرجل شاب رياضي ، يهوى الفنون ، على علاقة وثيقة بمعظم الفنانين والرياضيين الملتزمين .

في مكتبه الفسيح الذى يغطيه اللون الأخضر ، بل والذى يكاد يكون اللون المسيطر من خلال وفرة النباتات المنتشرة به ، كان بداية اللقاء ، وإن كان «ممنوع التدخين» في مكتبه ، وليس هناك نصيب «للمكيفات» ، مثل «الشاى والقهوة» ، يكفيك - فقط - قطعة «شيكولاتة» على سبيل التحية !

أكملنا الحوار في نادى الفيروز بالإسماعيلية ، حيث كان الوزير المحافظ مرتديا «بدلة تدريب» ويتهيأ لكى يلعب المباراة الأسبوعية في الثانية بعد ظهر كل يوم جمعة ، مع قدامى الرياضيين ولاعبى كرة القدم «على أبوجريشة ، العربى، يسرى طربوش» .. الذى كانوا يوما نجوما في كرة القدم ، ليس على المستوى المصرى فحسب ، بل وعلى المستوى العربى والإفريقى .

كـان الرجل : صــريحـا ، واضــحــا ، لم يخـجل من أى تسـاؤل، ولم يتحـرج من الإجـابة على أى سؤال ، فالموضوع هام يتعلق بتراجيديا الإنسان على شط القناة ، حيث مسقط رأسه الإسـماعيلية ، وهو ابن أسرة مـتوسطة الحـال ، لذلك يبدو انحيازه الواضح لأبناء مدينته ، بل يجد نفسه فى حالة «ذوبان» دائم معهم .

هو دارس للفلسفة ، وكان عضوا بمجلس الشـعب أثناء أكتوبر ١٩٧٣ ، شغل منصب محافظ منذ العام ١٩٧٨ وحتى العام ١٩٨٩ ، .. عام إجراء الحوار مـعه ، حصل على درجة الماجسـتـير فى العـلوم السـيـاسـيـة من جـامـعـة القناة على موضوع هام : «قمة البـحيرات المرة والسـياسـة الأمريكيـة فى الشـرق الأوسط» ثم درجة الدكتوراه .

وكـان الحـوار حـول الإنســان وذكـريات الاسـتنزاف والأرض.. ومـدينة المهـرجـانات ، والمسـتـقـبل ، بوصف الإسماعيلية فصلا هاما من كتاب البشر على شط القناة .

قلت : هناك تساؤل مـحورى ، هو قاسم أعظم مشـترك لما أبحث عنه فى تراجـيديا الإنسـان المصرى على شط القناة ، ذلك أن هذه المنطقة تتميز بخصوصية شديدة ، تتعلق بصمود الإنسان المصرى ، وقدرته على المقاومة .

□ فى تقــديرك وتحليلك ، وأنت دارس لعلم النفس والفلسفة والعلوم السياسية ، ما السبب فى ذلك ؟

□□ يقول الوزير عبدالمنعم عمارة محافظ الإسماعيلية (السابق) : يؤكد علماء السياسة والتاريخ وما يمكن أن نسميه «الجيوبولتيك» أن المكان والموقع لهما دور كبير فى كل التوجهات السياسية التى تتم فى هذه المنطقة - تحديدا - أو فى أى منطقة فى العالم .

وحيث أن منطقة الإسماعيلية تقع فى منتصف قناة السويس ، بكل معانيها ، وتاريخها ، وكل ما تحمله من تراث، حدث له تراكم على مر التاريخ ، منذ بدايتها وحتى الآن ، فهى منطقة كان لها تأثيرها الكبير جدا على مصر (فى الأحداث الداخلية أو الخارجية) ، ولا أغالى إذا قلت أنها هى- أى منطقة القناة - التى أدت إلى مرحلة التصنيع المتقدمة فى أوروبا ، أو ما نسميه ما فوق التشبع فى التصنيع الذى تم فى العالم الغربى .

منطقة فى مثل هذه الأهمية ، والحيوية ، لاشك أن لها تأثيراتها فى الأحداث العالمية التى تمت منذ الحربين العالميتين الأولى والثانية ، فضلا عن نشأة إسرائيل .

إذن المواطنون - هنا - هم نتاج الموقع ، وأحداث الموقع لها تأثير كبير عليهم ، وبالتالى وجدوا أنفسهم وسط معارك تدور ، سواء بإرادتهم أو بغير إرادتهم ، وقد أدت هذه الأحداث - بطبيعة الحال - إلى صمود هذا المواطن ، وإلى نضاله ، وإلى قوة تحمله ، إذ أنه ما إن ينتهى من حرب من الحروب ، ويبدأ فى حياة جديدة سرعان ما يعود مرة أخرى - بعد هدوء الحال - فى هذه المنطقة ، إلى النضال من جديد ، أو المعاناة من جديد ، كل هذه الأسباب تؤدى إلى خلق روح المقاومة ، وعدم الاستكانة لدى مواطنى شط القناة - كما تسميهم - وبالطبع أبناء الإسماعيلية كتيبة متقدمة بينهم .

حال المدينة تحت الخطر

□ أستاذ عبدالمنعم : أبحث فى منطقتكم التى تمتد مائتى كيلو متر (من السويس إلى بورسعيد وبينهما الإسماعيلية) عن الإنسان فى صراعه مع البيئة والاستعمار .. عن تلك القصص الإنسانية البسيطة للمواطن العادى ، هنا يظهر التساؤل : على هذه الأرض التى ارتوت بالدماء والعرق والدموع سنوات طويلة ، خلقت فى النهاية ملحمة

كبرى ، هل يضم أرشيف ذاكرتك - وكنت واحدا من هؤلاء المواطنين حتى حرب أكتوبر - أبطالا خلقوا هذه االملحمة ، وتواصلوا ليرسموا تراجيديا الإنسان الإسماعيلي ؟!

- يقول : كما هى العادة ، نحن لا نهتم بما نسميه «عملية التوثيق» وإن كان هناك ذكريات كثيرة عشناها ، كأيام الاحتلال الإنجليزى فى عام ١٩٥١، وحروب ٥٦ ، ٦٧ ، ١٩٧٣ ، لأننى كنت عشت عمرى كله بالإسماعيلية ، وشاهدت البطولات المختلفة ، التى تجعلنى - ومن خلال دراستي للفلسفة وعلم النفس والعلوم السياسية - قادرا على التحليل المنطقى للأحداث ، ومواجهة الناس لها فى هذه المنطقة .

فى العام ١٩٧٣ رأيت مشاهد إنسانية كثيرة ، لا يمكن نسيانها ، لا أنسى ونحن فى المستشفى - نساهم - فى إسعاف جرحى أكتوبر ذلك «العسكرى» الغارق فى الدم والذى كانت ستبتر ساقه ، يصرخ عندما شاهدنا - ولا يعرفنا - قائلا : أريد أن أعود فورا لمحاربة اليهود أولاد كذا ... وكذا !!

لا أستطيع أن أنسى ذلك ، شاب يقطر دما ، ويأبى أن يبقى فى المستشفى ، ذلك هو المواطن المصرى !!

وقد حكي لى اللواء فاروق حسن مساعد وزير الدفاع ، أنه نزل أثناء المعركة ليشترى طعاما ، فرأته سيدة عجوز ، فأسرعت باحضار طعامها ، وكان عبارة عن «فسيخ» وكانت الإسماعيلية فى هذا الوقت مهجرة .. لقد أكد لى اللواء فاروق أن ما أكله من يد هذه السيدة ، هو أحلى ما أكله فى حياته !!

□ أتواصل مع الوزير عبدالمنعم عمارة قائلا له: ما حال الناس فى مدينة مهجرة قبل أن يأتى أكتوبر بأيام ، وبعده بأيام ، صحيح كان الانتصار بين قاب قوسين أو أدنى ، الثغرة ، كل ذلك يخلق نوعا من العلاقة الخاصة .. ما هى ؟ ما شكلها ؟ وإن كان البقاء والاستبقاء فى حد ذاته ملحمة ؟

□□ يقول : فى هذه الأيام ، كنا مجموعة مقيمين فى الإسماعيلية ، حوالى أربعة آلاف ، منهم عدد من السيدات رفضن مغادرة الإسماعيلية ، وبعضهن عدن إليها سرا (!) ، وعندما كنا نعمل على إبعادهن من المدينة لأنها تحت الخطر ، كن يصرخن «لن نترك بلدنا» ! وكانت المدينة تحت سيطرة مدفع يهودى ضخم اسمه «أبو جاموس» ، كان يمطرنا بقذائفه دوما ، ومع ذلك لم تكن الناس «متضايقة أو

خايفة» .. لكن ما كان يضايق الجميع وكانت فى مرحلة الاستنزاف أن نفتح راديو القاهرة فتسمع «يا دبلة الخطوبة»، أو «حب وهب» ، كما كنا نسمع عن «شارع الهرم» ، وعبثه ولهوه من خلال ملاهيه ، وكنا نتصور أن شط القناة هو قضية مصر كلها ، بل قضية العرب ، وليست قضية من يعيشون فيه .

كنا - تحت الخطر - وأذكر فى هذه المرحلة ، فى نهاية الستينات أننى كنت «خاطب» زوجتى الحالية ، وكانت ساقها في الجبس ، وأثناء زيارتى لها ، كانت تحدث غارة ، كنا نحملها لنضعها معنا فى الخندق ، ثم نفتح الراديو فنسمع أغانى ليس لها علاقة بما نعيشه ، هذا لا يمنع أن نحارب ونغنى ، لكن ما نوعية ما نغنيه .. تلك هى القضية !!

لكن مشهد أكتوبر ١٩٧٣ كان رائعا ، طائرات إسرائيلية تسقط ، ودبابات تحرق ، وجنود يأسرون ، كما نمسك الطيارين الإسرائيليين بأيدينا ، إذن هى الحقيقة ، ووصلت المسألة إلى حد الاحتفاظ بقطعة من المظلة ، أو قطعة من شظية .

وأؤكد ، بإيمان ، وبفخر ، أنها كانت أجمل أيام عمرى

علـى الإطلاق ، وأنا أرى أسطورة العـدو الذى لا يـهـزم آمـام عينى ، وأذكر أن الصديق د. عبدالحميد حسن وكان قد صدر فى الأيام الأولى للمعركة قرارا بتعيينه نائبا لوزير الشباب ، وقد اتصل بلى وكنت أيامها عضوا بمجلس الأمة «الشعب» .. أنه سيزورنا ليساند شباب المقاومة .

وقد جاء يوم ٩ أكتوبر وركبنا وكان معنا الأخ مهدى شومان أمين الفلاحين قاربا مطاطيا فى القناة ، وجنح بنا القارب نتيجة للأمواج وقلت لهم مازحا سأترككم وأنتم لا تعرفون العوم .. وسأسبح .. فقالا لى : ستموت من الألغام ، وشاهدنا عددا من الجنود بعدد من القوارب ، وأخرجونا من القناة ، ونحن نهلل ، بعدها بربع ساعة فقط .. كانت طائرة إسرائيلية تلقى بحمولتها .. إذن كان الفرق بين الموت والحياة ربع ساعة فقط ، لكن سعادتنا أنستنا تقاليد الحرب !!

مسئولية من؟

□ قلت سيادة الوزير المحافظ : في كتاب الحروب ، فصول لم تكتب بعد .. أين تقع المسئولية في كتاب تراجيديا الإنسان المصري علي

شط القناة ، سواء في صراعه مع البيئة أو المستعمر ؟

□□ يقول : مشكلة العالم الثالث ، ومشكلة العالم العربى، بل ومشكلة مصر ، عدم الاهتمام بالتوثيق ، فمن ذلك الذى يثق فى مصلحة حكومية ؟ أو فى وزارة ؟ أو محافظة ؟ أخشى أن أقول قضية فطرية ، أو قضية تربية !! أو أننا لم نتعلم كيف نوثق ؟ قد يكون كل ذلك مجتمع ، أو بعضه منفرد ، إننا نجد كل يوم أن القائد فلان كتب مذكراته ، وأن عضو مجلس القيادة قد نشر كتابا .. كلهم يكتبون كلاما متناقضا .. وكأن تاريخ مصر شيئا هلاميا ، لا نعرف من نصدق ، ومن يكذب !!

وإذا كنا قد عشنا جزءا من هذا التاريخ ، فالأجيال الجديدة لم تعش هذه الأيام ، وبالتالى .. فإن الحقيقة مفقودة عندها !! وهذه تفرض أن تكون هناك لجان ثابتة لكتابة التاريخ ، فلدينا عددا كبيرا من أقسام التاريخ فى الجامعات المصرية ، لتتولى هذا الأمر ، ويكون لديها صلاحيات التعامل مع الوثائق والمستندات ..

أنا مثلا ، أرغب رغبة شديدة فى قراءة تاريخ المماليك فى

مصر ، فكل المتوافر لدينا شجرة الدر ، وأنها ضربت «بالقبقاب» حتى ماتت !!

□ قلت : ألا يفرض هذا الحوار ، وهذه الذكريات التى تحكيها لى .. وحكاها لى ناس شط القناة بحب شديد .. وكأن كل منكم يتذكر «قصة حبه الأولى» .. أن نقترح سويا «مشروع» وأنت رجل عينيك على المستقبل ، وكثير من الماضى القريب .. أن يكلف عدد من المخلصين من أبناء الإسماعيلية وأصدقائهم كتابة تاريخها ، من خلال حكاوى الصمود ، بحيث يكون مشروعا تتبناه الإسماعيلية وصولا إلى مصر ؟

□□ يقول : كأنك تستقرئ ما بدأنا فيه .. فقد اقترح أحد الأصدقاء هنا فى الإسماعيلية أن نقوم بهذه المهمة ، وكونا فريقا يرأسه عميد كلية الآداب جامعة الزقازيق ، حيث اختار مجموعة على درجة عالية من الإخلاص الوطنى ، والدقة فى البحث ، والإخلاص فى التوثيق والكتابة ، حيث بدأت فى كتابة تاريخ الإسماعيلية ، وقد قطعنا شوطا .. حتى وصلنا إلى العام ١٩٦٧ .. وأؤكد أننى لست صاحب الفكرة ، إنما قمت بتبنيها ، من خلال موقعى كمحافظ أولا .. وواحد من أبناء الإسماعيلية ثانيا .. وتقوم هذه اللجنة الآن ، بالتأريخ

للمرحلة الثانية التى تبدأ فى العام ١٩٦٧ ، وصولا إلى الآن «أى الثمانينات» .

ابتسم .. أنت فى الإسماعيلية

□ قلت : دعنا ننتقل نقلة نوعية فى الحوار ، ذلك أنك طرحت شعارا «ابتسم أنت فى الإسماعيلية» .. فهل تؤمن حقا بأن الابتسام والبسمة واجبة هنا .. وكيف ؟

□□ يقول : من الأمور التى أراها هامة جدا فى الحياة ، وقد لا يأخذها بعين الاعتبار «آخرون» أن الابتسامة تفتح أبوابا كثيرة مغلقة ، ومن شأنها إزالة الحواجز ، وإذابة الحدود ، إذن لماذا لا تستغل هذه الإيماءة البسيطة التى تفتح الأبواب المغلقة ، وقد رفعنا شعار «إدخال البسمة إلى كل بيت فى الإسماعيلية» ، وهذا الشعار الذى أجده مهما للغاية ، نظرا لمرورنا «بالتراجيديا» التى نبحث عنها هنا ، لقد مر الشعب الإسماعيلى بالهجرة ، وبالتدمير ، وبالحروب ، وبالتشرد ، وبالمعسكرات المختلطة ، والحمامات الجماعية ، فليس أقل من إشعار الناس - هنا - بأن البسمة فى طريقها إلى قلوبهم ، لقد لاحظ كثير من ضيوف الإسماعيلية هذه «البسمة» ، بل إن أحدهم قال لى : أن له ملاحظتين :

الأولى أن الناس فى الإسماعيلية ترتدى ثيابا نظيفة ، وليس بالضرورة أن تكون غالية الثمن .

والثانية ؟

أنها تبتسم!!

ذلك -أؤكده- ولك أن تلاحظه، وتسمعه، وتناقشه، أن هناك رضاءا داخلياً. وسلاما نفسيا لدى الناس - هنا - إذن لا أقل من ترجمة هذا الشعار لدى أبناء الإسماعيلية، طبعاً.. بشرط تلبية الحاجات الأساسية لدى الناس!!

□ بالطبع.. أوافق.. لكن لا تكفى مسألة البسمة بدون عوامل حقيقية لها.. وهى بنية أساسية ، فرص عمل ، استقرار اقتصادى ، لأن الإنسان المستريح ، هو القادر على التفكير والحب.. وهو بالطبع والقطع القادر على الابتسام ؟!

□ يقول محافظ الإسماعيلية عبدالمنعم عمارة:

وأنا أوافقك، فالناحية الروحية -فقط- لاتهم الإنسان، والعوامل المادية هامة جداً.. لذلك لو حصرنا المدارس التى أنشئت فى الإسماعيلية خلال الـ ١١٠ سنوات الماضية، وحصرنا المدارس التى أقيمت فى السنوات العشر الأخيرة، لا تضح أن الأخيرة ضعف الأولى مرة ونصف فضلاً عن أن معدل الفصل الدراسى ٢٣ تلميذاً فقط!

□ بطبيعة الحال.. فإن تهيئة البنية الأساسية بالكامل.. إننا أول محافظة فى مصر، تكهرب قراها بالكامل منذ العام ١٩٨٠، ولدينا من الكهرباء بنية أساسية تكفينا سنين كثيرة قادمة.

□ أما عن الإسكان، فلن أقول تصريحاً إنشائياً، إننا قضينا على أزمة الإسكان هنا، لكنى أقول: إننا عندما كنا نعلن عن ألف شقة منذ ثلاث سنوات، كان يتقدم خمسة آلاف مواطن، فى حين أن آخر إعلان منذ شهور، لم يتقدم للألف شقة سوى (١٢٠٠) أكرر ١٢٠٠ مواطن، إذن الأزمة فى طريقها للحل!!

□ لذلك أرى بوصفى مسئولا، ومواطنا، أن أهم ما يدرس هو «ظرف الإنسان» فى سبيل حل مشاكله، لذلك أعود وأؤكد أن «البسمة هنا واجبة»!!

نموذج التنمية؟

□ قلت: أستاذ عبدالمنعم.. كان -دوما- شاغلى نموذج لمسئول مرتبط بموقعه، ارتباطا وجدانيا وعاطفيا وسياسيا، بحيث يصبح مشغولا به، مهموما بمشاكله متفرغا له.. وذلك ينقلنى إليك

بوصفك «هذا النموذج» لذلك أسأل: هل يوجد فى رأس عبدالمنعم عمارة مشروع قومى لتحويل الإسماعيلية إلى نموذج حقيقى للتنمية فى مصر؟

□□ يقول: هذا السؤال يذكرنى.. بسؤال وجه إلىَّ من أحد مذيعى الراديو.. عندما قال لى ببساطة بل بشكل تلقائى! ماذا تريد بالضبط؟ لقد حيرتنا!!

والمسألة - ببساطة - أيضاً، أننى لا أريد - بصيغة الفرد- لكن نحن أهالى الإسماعيلية، وبوصفى واحد منهم وابن لأسرة متوسطة، وإنسان يشعر بالمستقبل.. ماذا نريد جميعاً؟.

الحقيقة أن النموذج الذى أبحث عنه هو محافظة تنجح فى مصر، وتنجح فى العالم الثالث بل وطموحى أكثر، فى العالم الأوروبى، وقد حصلنا من خلال مشروع «حى السلام» بالإسماعيلية على جائزتين، وأنا فى طريقى - ممثلا للإسماعيلية.. للحصول على الجائزة الثالثة من الأمم المتحدة «لجنة الإسكان» حيث سأتسلمها فى أندونيسيا.. وذلك من خلال ما يسمى بمشروع «إحياء الحضارة الإسلامية» وعندما ترى صور هذا المشروع وقد كتب «بيوت من الطين والبيوت

الحـاليـة» بالرغم أننا لم نقم بدهانهـا.. إنما الأمم المتـحـدة وجدت فيها نموذجاً، وتجربة فريدة لحل أزمة الإسكان..

قـال قـد كنت أسكن وأنا مـازلت أعـيش مع والدى فى منطقة يقوم فيـها العسـاكر بهدم بيوت الناس ثم يقوم الناس بإعـادة بنائهـا مـرة أخـرى بالطوب اللبن، لذلك عندمـا توليت المسـئوليـة، فكرت فـى أن يتملك الناس هذه المسـاكن، وكـان مشروع حى السلام الفائز بثلاث جوائز عالمية..

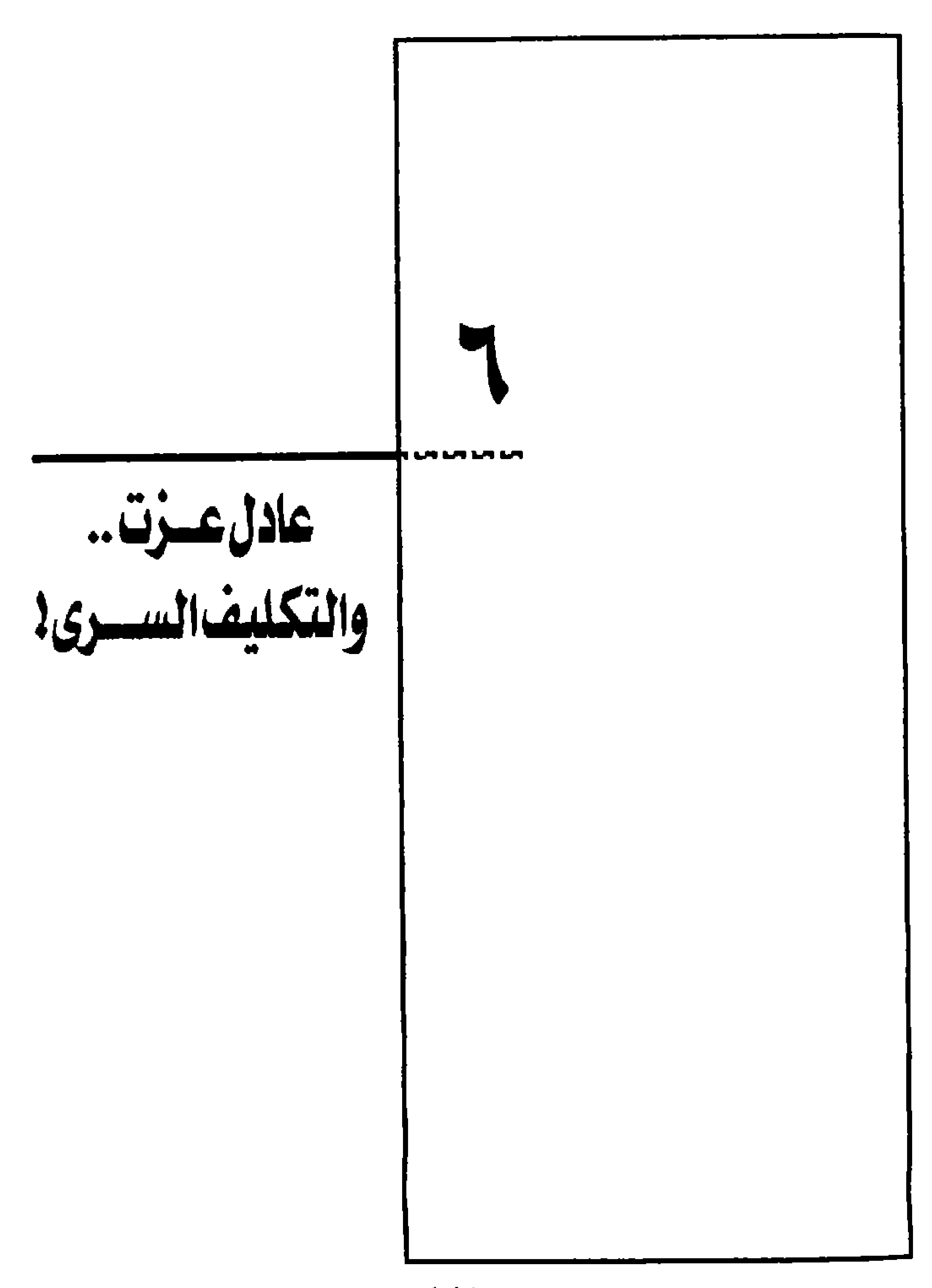
وكـان علينا أن نسـيـر فى طريق مـا يسـمـى بجـمـاليـات المدينة العالميـة، لذلك كانت هذه المهرجانات الدولية، وهـى الرئة التى تتنفس بها المدينة، وهى وسيلة لغسل وجه المدينة، نقوم بالدهانات لواجهاتها، نزرع شجرة، بالتالى نتعرف على تقاليد شـعـوب العـالم.. ولن ننجح بدون مـشـاركـة النـاس، ناس الإسماعيلية، لأننى جزء من الناس، فإذا نجحنا.. فالنجاح لنا جميعاً!!

وأنا.. كدارس للفلسفة.. أؤمن باللامركزية، وأعـجب كثيراً بالمدينة الفـاضلة(!!).. وكل ذلك - بطبـيـعـة الحـال- له تـأثيـر كبير فيما يحدث فى الإسماعيلية اليوم.

□ يتواصل التسـاؤل: وهل السـعة الفندقية بـالإسمـاعيليـة مهيأة لاستقبال هذه المهرجانات، وهل يخلق ذلك فرص عمل؟

□□ يقول: أنا أؤمن «بمدخل البسمة»، وأن يتواصل سير المهرجانات بطول العام، ففى أغسطس كانت هنا دورة الصداقة العربية الأولى فى كرة القدم، وفى سبتمبر كان دورى الشركات الذى ضم تسعة آلاف لاعب، وفى أكتوبر المهرجان الدولى للفنون الشعبية، ومن قبل كان الملتقى الإسلامى، ويكفى أنك تستطيع فى كل مهرجان أن تخلق من ٥٠ شابا «كوادر» صالحة للعمل، مرافقة وفود، ترجمة، وإذا كانت فرص العمل من خلال المهرجانات هى «مؤقتة» وإن كان عائدها كبير «من خلال خلق وتربية كادر» فإن فرص العمل الدائمة لا تأتى من مشروعات مستمرة ومستقرة «مزارع، مصانع، شركات»، وذلك موضوع هام -أيضاً- وتفصيلاته بالأرقام موجودة.

بأمانة.. أود أن أشغل الشباب على مدار العام بالرياضة والفن والتثقيف وغيره من مجالات تنمية ذوق المواطن، جنبا إلى جنب مع إشباع حاجاته.



٦

عادل عـزت..
والتكليف الســرى!

□ فى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٦.. كلف الرئيس جمال عبدالناصر فى سرية تامة حتى عن بعض وزراء حكومته، ثلاثة من الرجال فى مهمة عاجلة فى منطقة القناة، وتحديداً فى الإسماعيلية.. وذلك لتنفيذ قرار سيصدره فى مساء ٢٦ يوليو.. وكان الرجال مزودين بصلاحيات منها التدخل بعنف إذا لزم الأمر!

وفى مساء ٢٦ يوليو ١٩٥٦، أعلن عبدالناصر فى مدينة الإسكندرية «تأميم شركة قناة السويس.. شركة مساهمة مصرية».. وكان الرجال الثلاثة ومعهم معاونوهم قد انتهوا من وضع أيديهم على مقر الشركة بالإسماعيلية وفرعيها فى السويس وبورسعيد دون إراقة دماء.. ولم تستطع القوات البريطانية المنتشرة على شط القناة التدخل!!

□ واحد من هؤلاء الثلاثة «بطل حوارنا».

اسمه: المهندس محمد عزت عادل

الوظيفة: رئيس مجلس إدارة هيئة قناة السويس «السابق».

المقر: مدينة الإسماعيلية

والمهندس عزت عادل: يتمتع بذاكرة مرتبة، وبثقافة موسوعية متعمقة، هادئ الطبع، دقيق الملامح، سريع البديهة، واضح وصريح، وقاطع!

وكان الحوار معه، سياحة مهمة فى تاريخ شط القناة، وقناتها، وناسها، بوصف أن «شق القناة» كان السبب فيما حدث طوال المائة وعشرين سنة الأخيرة!

□ يقولون فى دنيا الأعمال.. أن للفكرة نصيب فى رأس المال!

كما يتعاملون فى العالم الاستعمارى بمنطق السلب والنهب والتلهيب!!

دعنى أسألك: أى المنطقين، الذى كان ينطبق على قناة السويس، وإلى أى مدى تدور ملكية مصر لها؟

□□ يقول المهندس عزت عادل فى هدوء مركز.. وفى تحليل منطقى: ملكية قناة السويس.. والمشاركة فى الفكرة والملكية والعلاقة بينهما، مسألة تحتاج إلى التاريخ القديم جداً، أيام فراعنة مصر، ومحاولاتهم لربط البحر الأحمر بالبحر الأبيض، عن طريق فروع النيل من آلاف السنين، وأسماء الفراعنة معروفة ومنقوشة على جدران المعابد،

سنقول أن الفكرة قديمة قدم الدهر، والفكرة أصلا نابعة من مصر ومن المصريين، وأعتقد أن ذلك برهان دافع لا يقبل أى جدال، ولا ينكره أى شخص «غاوى أفكار».

ولو تركنا هذا الكلام وعدنا إلى العصر الإسلامى، ورأينا الآثار التي مازالت باقية عن «قناة أمير المؤمنين» قرب السويس تأكيد آخر على أن القناة وفكرة شقها، لازلنا نؤكد تأكيداً جازماً على أن الفكرة هى فكرة المصريين ومصر والمسلمين فى ذلك العصر.

لو اقتربنا قليلا من ديلسبس، سنجد أن الساسامينيين فى فرنسا، وكانوا رجال دين، هم الذين بدءوا الفكرة فى العصر الحديث، وحاولوا تنفيذها، إنما لسبب أو لآخر، لم يتمكنوا من تنفيذ فكرتهم.

ثم جاء ديلسبس، وكلنا يعرف الاتصالات التى تمت بينه وبين سلاطين مصر، لتنفيذ مشروع قناة السويس.

من كل هذا السرد، يمكن أن نقول أن ديلسبس لم يخترع الفكرة، بل هناك من يفوق دور ديلسبس - فى رأى - فى فكرة فى الظروف التى تمت فيها هذا العام ١٨٥٩.. على سبيل المثال مهندس اسمه لويجى ليجنرلى ، هذا المهندس

والنمسا «!!» لأنه ولد فى منطقة البترول على الحدود الإيطالية النمساوية، والمختلف عليها حتى الآن، هذا المهندس كان له فضل كبير على حسن تخطيط قناة السويس، ولذلك نحن نعترف بفضله.

ونأتى إلى «حق الفكرة» فى رأس المال، فهو يعود إلى المصريين، ليس - فقط- حق الفكرة، والحق الأقوى والأكبر، حق التنفيذ، حق التضحية، من خلال استشهاد ١٢٥ ألفا من المصريين الذين حفروا القناة بدمائهم وسواعدهم «ويمقاطفهم» بالطريقة البدائية فى ذلك الوقت!! فى مقابل ماذا؟ لا شئ!! أجور ضعيفة، رعاية صحية تكاد تكون منعدمة، تغذية أقل من الإنسانية.. إذن هم أصحاب قناة السويس الفعليين!!

ونأتى إذن إلى دور شعب مصر بعد حفر قناة السويس، هذا الشعب الذى كان من المفروض أن يجنى ثمار هذا المشروع، الذى دفع من دم أبنائه ١٢٥ ألف شهيد، كان من المفروض أن يشترك فى «الغنائم».. ونعلم جميعاً أنه كان يأخذ من أرباح شركة قناة السويس «المؤممة» ما يساوى ٢ ملايين دولار فى السنة.. فى الوقت الحالى - ولفرض المقارنة

- ايرادات قناة السويس في اليوم أكثر من ٥ ٣ مليون دولار!

إذن لم يأخذ من الغنائم شيئاً، قبل التأميم، بل العكس أن شعب مصر الذى حفر قناة السويس والفكرة فكرته، دفع ثمن حريته، نتيجة وجود القناة، وكلنا نذكر أن انجلترا كانت فى ذلك الوقت دولة عظمى، وكانت تعمل على تأمين مواصلاتها مع الهند والشرق الأقصى، فاحتلت مصر" فدفع المصريون حريتهم ثمنا لوجود القناة!!

□ إذن ما معنى ملكية أو المشاركة فى الملكية ؟!!

□□ ولنكمل القصة - والكلام للمهندس عزت - لقد أمم جمال عبدالناصر «الله يرحمه» قناة السويس، التأميم ليس معناه المصادرة، لقد دفعت مصر قيمة كل الأسهم الخاصة بالقناة لحملة الأسهم الأجانب بالسعر المعلن فى بورصة باريس في اليوم السابق للتأميم «٢٥ يوليو ١٩٥٦».

إذن مصر دفعت كامل قيمة أسهم القناة لمستحقيها.. ولم تستول مصر على القناة التى حفرها أبناؤها بدمائهم!

وستظل مصر، والمصريون إلى أبد الدهر إن شاء الله.. ملاك قناة السويس.

توفيق القرار

□ قلت: إتهم عبدالناصر «دوما» بأن قراراته كانت انعكاسا لانفعالاته!! والدليل تلك القصص الملفقة التى تظهر من حين إلى آخر.

إلى أى مدى كان قرار تأميم قناة السويس موفقا، وهل كان عبد الناصر على حق فى إتخاذ هذا القرار؟

□□ إحقاقا للحق، كلنا نذكر أن فترة الامتياز التى منحت لشركة قناة السويس المؤممة، هى ٩٩ سنة، كانت هذه الفترة ستنتهى فى ١٧ نوفمبر ١٩٦٨، لكن التأميم حدث فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦، أى الفرق ١٢ سنة قبل انتهاء الامتياز.. والثابت تاريخيا أن عملية مد الامتياز فترة أخرى بدأت محاولاته فى الأربعينيات، وقد أشاعت إدارة الشركة - فى ذلك الزمان - أن المصريين لن يستطيعوا إدارة قناة السويس، بعد نهاية الامتياز، وأن مصالح العالم الاقتصادية متوقفة على هذه القناة، وبالتالى لا يمكن ترك مصالح العالم الاقتصادية فى يد المصريين غير القادرين على إدارة مثل هذا المرفق!!

وحاولت بكل الوسائل تمديد فترة الامتياز - وكلنا نذكر -

أن شعب مصر رفض رفضا باتا، عملية المد ومناوراته، ومع أني أشجب عملية القتل، إلا أن رئيس وزراء مصر قتل عندما أشارت الدلائل إلى أنه ميّال لمد فترة امتياز قناة السويس!!

كانت هناك دراسات كثيرة لتأميم قناة السويس قبل إثارة موضوع البنك الدولي، ورفضه تمويل السد العالي، فضلا عن وجود عدد من الكتب، منها كتاب كتبه المرحوم الدكتور مصطفى الحفناوي (عضو مجلس إدارة قناة السويس بعد التأميم ووزير الإسكان في بداية السبعينيات).. الموضوع كان حي ومثار مناقشة ودراسة.

وهذا الاتهام (استغفر الله العظيم) كان غير صحيح، اتهام الرئيس جمال بالانفعالية، لأن العملية كانت مدروسة، ومخططة، ولكن ساعة الصفر فقط، هي التي كانت تتوقف على الأحداث الجارية.

وأود - هنا - أن أذكر بعض الحقائق في حال الشركة المؤممة، قبل التأميم:

(١) لم يكن هناك مصري واحد في مستوى اتخاذ القرار في الشركة.

(٢) أعلنت إدارة الشركة بأن مصر مادامت متمسكة

بعملية إنهاء الامتيازات فى توقيته (١٩٦٨).. إذن لا يجب أن تنظر مصر من إدارة الشركة تطوير المرفق أو معداته، لإنهاء تبغى الربح، وبالتالى لا ينتظر منها أن تقوم بالإنفاق على مشروع، سوف تسلمه بعد ١٢ سنة إلى الحكومة المصرية، أى أنها إذا «أنفقت» فهى مصاريف بلا مقابل!!

☐ ويجب أن أشير هنا إلى فرضية بغرض المناقشة، لو أن القناة لم تؤمم، واستلمتها مصر فى العام ١٩٦٨ - بعد انتهاء فترة الامتياز.. ماذا سيكون الوضع إذن بعد التسلم؟

- أولا: عدم قدرة المصريين على إدارة مرفق القناة، الذين لم يتحصلوا على خبرة كافية فى إدارته، بما فى ذلك المرشدين المصريين العاملين فى القناة.. إذ أنه فى سنة التأميم ١٩٥٦، كان يوجد ٢٧ مرشدا مصريا فقط حديثى التعيين فضلا عن كبار المرشدين «أجانب»!! والمعلوم أن المرشد تتوقف كفاءته على طول مدة خدمته!

☐ من حيث المرفق - ذاته - كانت مصر ستتسلم مرفق متأخر، ومتخلف، فى معداته، ومجراه، عن التطور المستمر فى النقل البحرى العالمى، نظرا لتوقف عمليات الانفاق، وبالتالى التطوير (١٢ سنة كاملة)!

❑ إذن كان المصير المحتوم: أن مصر والمصريين سيفشلون في إدارة قناة السويس!! كل ذلك بافتراض تسلم مصر القناة بعد انتهاء فترة الامتياز، مستبعدين بذلك قرار التأميم!!

❑ اختيار التوقيت إذن ليس قرارا انفعاليا من جمال عبدالناصر، لقد كانت الفكرة موجودة، والتخطيط لها موجود والتنسيق لها موجود والتأميم جنب مصر الفشل في إدارة المرفق، بعد ١٢ سنة، لأننا كنا سنتسلمه «خردة»!

❑ والدلائل على هذا، يدفعني لأن أقدم مثالين في التاريخ المعاصر: (١) شركة الترام في مصر، كان لها فترة امتياز، لم تؤممها مصر، استلمت الشركة بعد نهاية الامتياز «خردة» بدون قطع غيار، وقضبان غير مصانة، ووحدات تسيير «كهنة».

❑ أما *المثل الثاني*، فهي شركة «لوبون» *للغاز*، نفس *الكلام.. إذن لو أن مصر قد انتظرت إلى ما بعد انتهاء فترة امتياز القناة، لكانت استلمت القناة «خردة» ولفشلت بالتالي* في إدارتها!

□ إذن : كان التأميم - من وجهة نظرى، ومن وجهة نظر أى منصف - حتمية واجبة، ولم يكن قرار تأميمها قرارا انفعاليا، لذلك فإن الاتهام خاصة لصاحب القرار، بأن يهدر قيمة الإنسان المصرى الذى فكر وخطط، والذى توقع ماذا سيحدث فى المستقبل!!

المهمة الانتحارية!

□ قلت سيادة المهندس عزت عادل: كنت واحدا من ثلاثة كلفهم جمال عبدالناصر بالتوجه إلى الإسماعيلية قبل قرار التأميم فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦، بثلاثة أيام لتنفيذ القرار!!

- لماذا تم اختيارك مع رفيقاك، ومن هما؟

- ماذا كان شعورك حيال هذه المهمة الانتحارية؟

- كيف تمت المهمة؟!

- ألمحه متذكرا.. وأمامه التاريخ.. لكن بريقا سرى في عينيه وهو يقول: حقيقة الاختيار، كان تتلخص فى أن المرحوم محمود يونس، *الذى كان رئيسا لهيئة البترول* فى مصر وكان قبل ذلك مديرا لمكتب قيادة الثورة الفنى، هذا الرجل هو الذى كلفه الرئيس جمال عبدالناصر بتنفيذ قرار التأميم فى يوم

٢٣ يوليو ١٩٥٦، أثناء الاحتفالات بعيد الثورة الرابع، وكان التكليف «شديد السرية».. وكنت – أنا – وزميلى «عبدالحميد أبو بكر» وهو الفرد الثالث فى المهمة، لم نعلم بهذا التكليف إلا يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٦.

□□ لما كلف المهندس محمود يونس بعملية التأميم، طلب من الرئيس جمال عبدالناصر، بأن يشرك معه اثنين من معاونيه، «أنا وعبدالحميد» فى تجهيز الخطة الكاملة لعملية تنفيذ التأميم، وتجهيز الأفراد، ووضع الترتيبات، والتوقيتات وأذكر هنا (أننا الثلاثة كنا فى هيئة البترول وكنا ضباطا فى القوات المسلحة واصلا مهندسين).. (وسأل عبدالناصر محمود يونس: من هما وبالإسم؟ فقال له : محمد عزت عادل وعبدالحميد أبو بكر، ووافق جمال عبدالناصر على ترشيحى ومع زميلى عبدالحميد على آلا يعلم أحد على الإطلاق غير الثلاثة وقد اتضح بعد ذلك أن بعض الوزراء لم يكن يعلمون بقرار التأميم ومن بينهم المشير عبدالحكيم عامر!!)

□ وأود القول – بعد توفيق الله – السرية وحسن الاختيار *للمجموعة التى* قامت بنفيذ قرار تأميم القناة والتخطيط الجيد، كانوا من أسباب نجاح عملية التأميم..

☐ السرية رقم (١).. أما الإخلاص فيدخل في عملية الاختيار.. وأستطيع القول، أن هناك حدثا كبيرا حصل، والسرية لها دور كبير للغاية، وهو عبور أكتوبر ١٩٧٣..

الحمد لله.. عملية التأميم تمت بنجاح يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦.. - وأعود للسرية - المجموعة التى سافرت معنا إلى الإسماعيلية لم تكن تدرى، لماذا هى فى طريقها للإسماعيلية!! .. وعندما وزعت المجموعة لتتجه إلى بورسعيد والسويس، فى هذا الوقت - فقط - علموا لماذا هم فى الإسماعيلية!! وكان الرئيس عبدالناصر قد أعطى للمهندس محمود يونس «صلاحيات المحافظة على السرية» ولو اقتضى الأمر استخدام «العنف».. لأن القاعدة البريطانية كانت موجودة فى منطقة القناة، وفى ظل الظروف، كانت «المفاجأة» ضرورية.. لأن السر لو كان «عُرف».. لكانت عملية التأميم قد صاحبها «الفشل»!! انما بمجرد أن أذاع جمال عبدالناصر فى خطابه بالإسكندرية يوم ٢٦ يوليو قرار التأميم «تؤمم شركة قناة السويس شركة مساهمة مصرية»، وقد ذكر الرئيس فى خطابه «والآن أخوة لكم يقومون بتنفيذ قرار تأميم القناة».. مباشرة وجدنا التأييد الشعبى الجارف فى المنطقة.. منطقة

قناة السويس.. الذى كان خير سند، ومؤشرا للقاعدة البريطانية بعدم التدخل!! وبهذه الطريقة، تمكنت مجموعة التأميم من تنفيذ المهمة التي كلفت بها، دون أن يحدث اشتباك، أو أى معوقات تشوب العملية.

دور إيجابى.. أم ماذا؟

□ قلت : القناة .. واحتلال مصر.. والتدخل الأجنبى.. ومعركة ١٩٥٦ .. كانت هذه نتائج مباشرة لحفر القناة.. أى البداية «شرور» و«الوسط» شرور!! وإن كانت النهاية «خير» !!

إذن: هل لعبت القناة من وجهة نظرك دورا إيجابيا في هذه المنطقة.. أم كانت وبالا عليها؟!

□ لقد تكلمنا عن الماضى، وعن الشرور الذى أحدثه حفر القناة، والأطماع الاستعمارية خاصة من بريطانيا التى كانت تود تأمين مستعمراتها فى الشرق، فاتحلت مصر، أما فى الحاضر فدخل قناة السويس - والحمد لله - يمثل المصدر الثالث فى الاقتصاد القومى المصرى خاصة من حيث العملة الأجنبية، وإن كانت «السياحة» تنافسنا على هذا المركز.. ولو نظرنا صافى الدخل من العملات الأجنبية فهى تحتل المركز الثالث.

وبإذن الله - فى المستقبل - ستظل قناة السويس مصدرا مستمراً للدخل والعملة الأجنبية، وندرس - حاليا - تطوير القناة، لكى تتماشى مع عصر العملاقات الموجودة فى السوق العالمى، والتى ستبنى مستقبلا، بحيث تنتقل قناة السويس من «قناة الفارغ» بالنسبة للعملاقات، إلى عصر «الناقلات المحملة» بدلا من دورانها حول رأس الرجاء الصالح.

حقيقة قناة إسرائيل!

□ قلت : نُشر ورُوج بأن إسرائيل ستحفر قناة، ما مدى صحة هذا القول؟ وهل يمكن أن يؤثر ذلك على الأهمية الاستراتيجية لقناة السويس؟

□□ يقول المهندس محمد عزت عادل رئيس هيئة قناة السويس السابق: أنا شخصيا لا أعتقد أن الفكرة قد وصلت إلى حيز التنفيذ، أو قرب هذا! وأود أن أقول بين قوسين أننا هنا فى الهيئة «كمجلس إدارة» لنا سلطة تحديد قيمة الرسوم على ضوء حركة الملاحة العالمية.

لذلك: لو خرجت هذه القناة الإسرائيلية، إلى حيز التنفيذ، سوف ننافسها، وأعتقد بشدة، أننا فى وضع أقوى، لأنه

علشان إسرائيل تعمل قناة جديدة، سوف تتكلف تكاليف «رهيبة» خصوصا أن الأرض هناك «صخرية ومرتفعة» ذلك يصبح على إسرائيل أن تحصد ما أنفقته فى حين أن قناة السويس حفرت من ١٢٠ سنة.

إذن الإستهلاك قليل، لذلك نستطيع المنافسة فى السوق.. لذلك من يفكر فى مثل هذه القناة - يقصد إسرائيل - عليه أن يحسب حساباته عشر مرات.

ونحن ننافس على خطوط الأنابيب البترولية، ونحن جاهزون للمنافسة، وعيوننا مفتوحة جدا لمثل هذه المشاريع ، ليس فقط فى القنوات الملاحية، ولكن فى الطرق البرية، وللسكك الحديدية، ولطريق القطب الشمالى، ولقناة بنما، وكل ما يؤثر على اقتصاديات النقل فى قناة السويس، يجب أن يكون موضع اعتبار، وطالما نحدد رسومنا بطريقة متزنة.

تساؤلات استفزازية

□ قلت: لدى ثلاثة استفسارات استفزازية:

(١) يتردد أن هناك «محظورات» تمر من القناة.. على سبيل المجاملة لدول عظمى؟

(٢) نحن الطيبون نتحسر على مرور ناقلات إسرائيلية فى القناة!

(٣) يشاع أن هيئة القناة تمثل «دولة داخل الدولة»..

ماذا تقول؟

- يقول بهدوء.

(١) فيما يتعلق «بالمحظورات» فإن لائحة قناة السويس تسمح بمرور المواد المشعة فى حدود محددة، ونحن نعلم الآن التطور التكنولوجى فى العالم، فهل يصح أن جهازا يتعامل بمواد مشعة، بعد أن نعرف درجة إشعاعه، وبعد الرجوع إلى مؤسسة الطاقة الذرية، نسمح له بالمرور إذا كان ليس له تأثير ضار على البيئة فى منطقة القناة.

أما «المحظور» مروره، هى السفن المسيّرة بالطاقة الذرية، طبقا للائحة الملاحة فى القناة، لأن مثل هذا النوع، يقتضى استعدادات واحتياطيات كبيرة، طالما أنها لا توجد.. إذن من الصالح عدم جواز مرورها.

(٢) الجزء الخاص بالسفن الإسرائيلية.. نحن نعلم أن إسرائيل لها ميناء على خليج العقبة، ولها موانىء على البحر

الأبيض، إذن فإسرائيل - حقيقة - ليست فى حاجة إلى قناة السويس - لأن تجارتها مع الشرق الأقصى تتم عن طريق ميناء إيلات فى العقبة، ومع الغرب عن طريق البحر الأبيض.

إذن من الناحية الفعلية التجارية الاقتصادية السليمة إسرائيل ليست في حاجة إلى قناة السويس.. إنما عندما نقول إن إسرائيل لها مركب يود المرور، فهى تدفع أموالاً مثلها مثل أى مركب أخر، بغض النظر عن المضمون النفسي، والموقف السياسى، أنا أراها كرجل يعمل في القناة المخصصة للعبور «بمقابل»!

(٣) القناة دولة داخل الدولة، هذا الكلام كان صحيحا قبل التأميم، لكنه غير صحيح بعد التأميم!! قناة السويس لها شخصية اعتبارية، وقانون خاص، وهذان العاملان هما اللذان جعلا قناة السويس «تنجح».. هذا القانون يتحمل جميع الإلتزامات والمسئوليات.

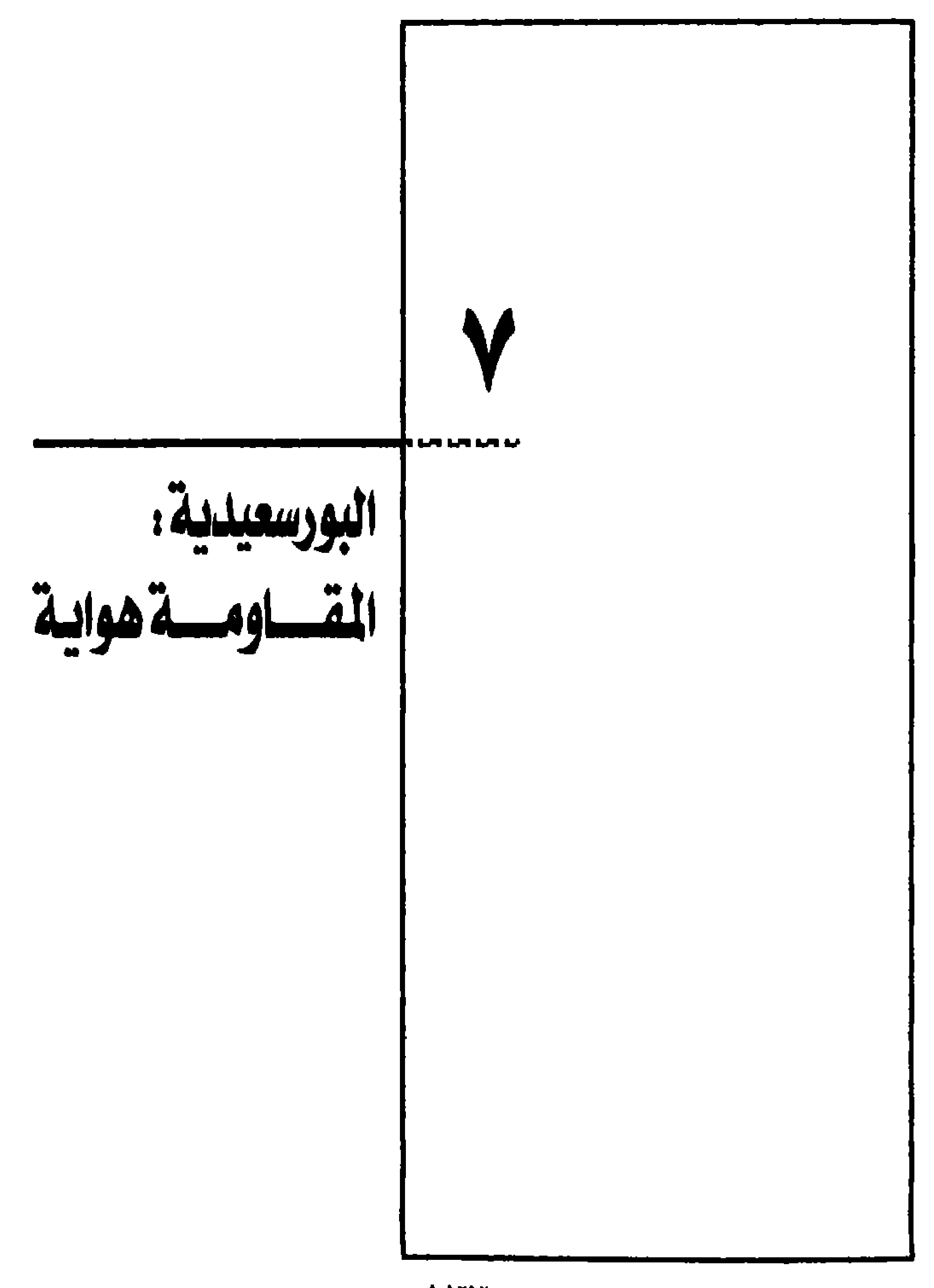
نحن مرفق نتعامل مع الملاحة العالمية، إذن لابد أن نكون قادرين على أخذ القرارات السريعة، لأن السوق يتغير، والتطورات العالمية تتم بسرعة، لا أستطيع أن أكون مقيدا بالروتين الحكومى المعطل!!

ذلك ليس معناه: أننا دولة داخل الدولة.. لأنه إذا أخطأنا «نُعلق من أطراف أصابعنا»!!

ولكن سلطاتنا إذا أحسنا استخدامها.. يبقى نجحنا، والعكس طبعا معروف.

لكن لا أستطيع أن أنتظر الروتين المعطل، الذى يضر الصالح، خاصة فيما يتعلق بالقرار السريع، نحن جزء من منطقة القناة، نحن جزء لا يتجزأ من شريحة الشعب المصرى فى هذه المنطقة.. كلنا مصريون.. عدد العاملين هنا ٢٥ ألف موظف، كلهم مصريون.. فكيف نكون دولة داخل الدولة.. نحن جزء لا يتجزأ من هذه الدولة التى ننتمى إليها.

□□□



٧

البورسعيدية: المقــــاومــــة هواية

بورسعيد.. قصيدة عشق فى الوطنية.. وقصة كفاح على مر الزمن.. ومطمع غزاة الغرب، ومحطة القادم والمسافر.. بوصفها مدينة محاطة بالمياه.

ففى الشمال البحر المتوسط، وفى الجنوب الغربى بحيرة المنزلة، وفى الوسط تخترقها قناة السويس.

والثابت تاريخيا، أنه لم يكن فى موقع المدينة عند مدخل القناة أى تجمع بشرى، بل كانت هناك قرية للصيادين عند «الجميل» التى تبعد غربا بنحو ٨ كيلومترات، وعلى قرابة ٢٨ كيلومترا، كانت هناك مدينة ساحلية اندثرت معالمها منذ قرون، كانت تسمى «برامون» أى مدينة الإله «آمون»، ثم أقام اليونانيون ضاحية لهما أسموها «بيلوز».. وقد انسحب اسم «بيلوز» على الموقع كله، فسميت منطقة «بيلوز» ومعناها «الطينة» لكثرة الأوحال بها، وهى مواجهة لما يعرف باسم «برمون» أو «برما».. ومنها أسماها العرب «الفرماء» وهى المدينة المعروفة حاليا بـ «تلال الفرما» التى كانت مدخل المسلمين إلى مصر.

☐ ومن موقع الفرما كمدينة حدودية ساحلية، كانت ـ بالتالى ـ مسرحا للعديد من المعارك الحربية والغزوات

العسكرية وبالتالى كانت حصنا متقدما للدفاع ضد الغزاة، وقد أعيد بناء حصونها عدة مرات، إلا أنها انتهت على يد الملك «بلدوين الأول» ملك بيت المقدس أثناء غزوات الصليبيين على مصر فى العصور الوسطى، وتحديدا فى العام ١١١٨م.

□ وبورسعيد اسم مركب من كلمة "POET" ومعناها ميناء وكلمة «سعيد» حاكم مصر وقت منح امتياز حفر قناة السويس، الذى بدأ مع صباح يوم ٢٥ ابريل ١٨٥٩، عندما رفع العلم المصرى على الموقع، حيث ألقى الفرنسى ديلسبس كلمة وسط العمال والفنيين من الأجانب والمصريين الذين استجلبوا من قرى دمياط وفارسكور، وكانوا نحو سبعين عاملا.. «باسم شركة قناة السويس العالمية البحرية» وتنفيذا لقرار مجلس إدارتها تضرب أول معول فى هذه الأرض لنفتح أبواب الشرق لتجارة الغرب وحضارته عن طريق مدخل الشرق».. ثم أمسك بالمعول وضرب به الأرض مبتدئا أعمال الحفر.. ورحلة النضال للشعب المصرى فى بورسعيد، التى كتب أبناؤها بعرقهم ودمهم ودموعهم تراجيديا الإنسان المصرى على شط القناة.

□□□

الفدائية هواية!

□ والثابت تاريخيا.. أن إلغاء معاهدة ١٩٣٦، قد واكبه على صعيد الوطن بأكمله حركة سياسية وطنية نشطة واكبتها - أيضا - ظهور نشاط الفدائيين ضد معسكرات الانجليز منذ العام ١٩٥٠، حيث شهدت تصاعدا فى العام ١٩٥١.. وإن كانت ذروتها فى العام ١٩٥٦.. مع العدوان الثلاثى على مصر..

□ والواقع أن عدوان ١٩٥٦، لم يكن وليد تأميم قناة السويس فقط، ولكنه كان مخططا استعماريا لإجهاض الحركة الثورية فى مصر التى بدأت ملامحها تتضح مع فجر ٢٣ يوليو ١٩٥٢..

□ وأثبتت المقاومة الشعبية التى أقسم رجالها وأطفالها ونساؤها على البذل والعطاء من أجل الوطن فكان لهم ما أرادوا.. الوطن من نصيبهم والشهادة من نصيبهم والعزة والكرامة من نصيبهم أيضا.

□ وعندما يسجل التاريخ وقائع ماحدث فى بورسعيد، وهو يغنى على أوتار *السمسمية*:

مور هاوس ليه بس جيت

من لندن هنا واتعديت!

وبنظلم آه ولا خليت

واهى موتك جوه البيت!!

ويقول التاريخ أيضا مع البورسعيدية:

بحروف من نور وحروف من نار

أكتب يازمان مجد الأحرار

مقدرش عليه الاستعمار!!

فإنه سيدرك أن النصر، كان من نصيب الحق، وكان الحق - ولايزال - من نصيب الشعوب التى تبحث عن حريتها، ومنها مصر بطبيعة الحال..

□□□

شهادات

الشاهد الأصيل!

محمد مهران عثمان.. اسم لن ينساه الانجليز طوال عمرهم! إنه شاهد أصيل علي البطولة المصرية.. وهو مواطن اختار الوطن دون تردد!

□ كيف ؟.

□□ كان محمد مهران فى التاسعة عشر من عمره فى العام ١٩٥٦، كان واحدا من الفدائيين المصريين، الذين امتلأت أبدانهم بوطنية زائدة.. ملأت عليه فؤاده وعقله ووجدانه.. وفى التاسع والعشرين من شهر أكتوبر ١٩٥٦، وصلته التعليمات للتوجه إلى مطار الجميل.. استمر فى الموقع حتى ٥ نوفمبر، وحدث الالتحام مع العدو البريطانى، ومن قلب حفرة كان يحتمى بها، أطلق مدفعه الرشاش، فأصاب ما أصاب.

□ لكن مصيبة مهران كانت أعظم، فالقوات الغازية تفرق كثيرا بين الضابط والجندى.. لم تهتم القوات الغازية بمقتل جنودهم على يد مهران، إنما بفقد عينى ضابط بريطانى.

□ ولأن الكثرة تغلب الشجاعة، فقد تمكنوا منه وخطفوه، في طائرة حربية، نقلوه إلى لارتاكا بقبرص، وفى المستشفى العسكرى ساوموه على عينيه!.

□ كيف؟.

ـ قالوا له: سنأخذ عينا واحدة منك نرفع بها قرنية الضابط المصاب، ونترك عينا، مقابل......!

□ مقابل ماذا؟

ـ أن نسجل لك على الراديو الموجه إلى مصر، لتقول أن شعب بورسعيد رحب بالأصدقاء البريطانيين!.

هنا انتفض مهران، وبدلا من الإشادة «بالأصدقاء البريطانيين» قال: «من هنا أطلب النصر لقادتنا المصريين على أعداء مصر»!.

□ وأضاف : تحيا مصر..

□ وأكد: عاش جمال عبدالناصر!.

ولم يدر بعدها مهران، إلا بعينيه الاثنتين قد اقتلعتا، فصاح فيهم: اقتلعتم عيناى، لكنكم لن تستطيعوا انتزاع ذرة واحدة من وطنيتي، ولن تنالوا من حبي لبلدى مصر.

□ تحيا مصر..

□ وأعادوه إلى بورسعيد. فى مستشفى دليفراند، وهناك خطفه الفدائيون، وهربوه إلى القاهرة، لاستكمال علاجه في إحدى المستشفيات العسكرية، وهناك زاره جمال عبدالناصر..

□ سأل مهران عبدالناصر: قالوا لى فى قبرص لقد اقتلعنا عينيك لتكون عبرة لأمثالك فى مصر! فهل هذا صحيح؟!.

ـ فـأجـابه عـبـدالنـاصـر: بل العكس هو الصـحـيح.. لقـد أصبحت قدوة لكل الأحرار فى العالم..

بعـد انتـهـاء المعـركـة.. نشـرت القصـة على العـالم الذى اسـتنكر هذه البـشـاعـة البـريطانيـة، ولتكشف زيف العـالم الديمقــراطى الذى كــان يمثله فى هـذا الوقت «بريطانيــا العظمى».. لكن فتاة بورسعيدية رقيقة اتصلت بكل المسئولين، وبمهـران تعرض عينيـهـا على مـهـران ليرى النور، ليس على سبيل المجاملة ولكن تقديرا وامتنانا لـهذا الشاب البطل الذى ضحى بعينيه من أجل الوطن!.

❏ لكن مهران رفض!.

ـ وكان الحب بينهما!.

ـ وتزوجا، وأنجـبا طبيبـتان .. ومـازال مـعـا على الطريق يكافحان!!.

❏ وعين محمد مهران عثمان بقرار من جمال عبدالناصر محاضرا فى متحف بورسعيد الحربى فى العام ١٩٦٤.

❏ ولم يبرح مهران بورسعيد، من ديسمبر ١٩٥٦ وحتى الآن!.

أى أنه عاش مرحلة الاستنزاف، حتى العبور حتى الآن!.

❏ حاج مهران: لم تغادر بورسعيد أثناء الاستنزاف؟.

ـ نعم.. لم أغادرها، ولماذا أغادرها!؟.

□ إذن أحكى لنا..

ـ يقول: لقد تابعت معارك إيلات ورأس العش.. وكانت هذه الفترة «صعبة» وكنت دائما «أتخانق» لأن بعض الضعفاء كانوا يقولون. «مش هانحارب ولا بعد ٩٠ سنة»!.

□ الكلام ده كان قبل عام ١٩٧٠.. وعندما مات الزعيم جمال عبدالناصر في السنة نفسها، حدث لى «اكتئاب»!.

□ واستمرت حياتى..

□ وجاءت بشائر أكتوبر.. وكان التهجير قد حدث في ابريل ١٩٦٩.. وهجرت أولادى في رأس البر، وكنت أسافر لهم خميس وجمعة!.

□ يوم الخميس ٤ أكتوبر سافرت إلى بورسعيد في الظهر، وفي المساء كنت في «المقهى» جاءنى عسكرى من بورسعيد وقال لى: النقيب فاروق جبر «المشرف على المتحف» يريدك أن تعود فورا إلى بورسعيد!!.

حاولت الاتصال ببورسعيد.. لم أتمكن، تانى يوم الجمعة ٥ أكتوبر، عديت عزبة البرج أنا ومراتى لم نجد إلا عربية مليانة قماش في طريقها لبورسعيد، الحيت على السائق أن يأخذنا معه، جلست ومع زوجتى القرفصاء، وسط القماش!.

□ وصلت المتحف بعد العصر.. قال لي النقيب فاروق: فيه معركة.. متى؟ لانعرف.. قلت: من الذى قال لك هذا الكلام؟ قال: اللواء عمرخالد!.

□ قلت لفاروق: فاكر لما جبنا سيد جلهوم من «الكوشة» وهو بيتزوج! وقلتم لنا أن فيه معركة!.

الواحد عاوز «مشنقة» يعلق فيها رقبته ويخلص!! وقلت: بلاش كلام فاضي وأخذت زوجتي وعدنا إلى رأس البر!.

□ قلت لزوجتي.. مش مسافر بكرة السبت إلى بورسعيد.. وصليت الفجر.. ونمت! فجأة وجدت زوجتي تصيح: حاج.. حاج المعركة قامت.. عبرنا!.

□ أخذت دشاً بارد! بعده قعدت أخبط في نفسي!.

□ لم أجد عربية يومى ٦ ، ٧ أكتوبر توصلني إلى بورسعيد، وبعد الفجر يوم الاثنين ٨ أكتوبر أخذت ومعي زوجتي تاكسى حتى المطرية دقهلية، وأخذنا «لانش» من المطرية، «اللانش» في المياه.. والضرب شغال.. وبالرغم من شجاعة «أم الولاد» فإنها كانت تصيح قائلة: الضرب والقنابل ياحاج!.

□ أخـذنا حنطوراً من بحـيـرة المنزلة، ودخلنا قطاع بورسعيد العسكرى، وصلت زوجتى إلى بيت والدتى فى الحى العربى وتوجهت إلى المتحف..

□ هناك قال لى اللواء حامد صالح خلى بالك من مخلفات العدو.. واجمعها.. وطلبت من اللواء حامد الصعيدى (الآن) ووقتها كان «عقيد» ويعمل مأمورا لقسم الشرق أن يعطينى بعض رجاله ليساعدونى فى جمع المخلفات..

□ وبدأت فى العمل، وكان معى صديق اسمه «عاشور مرسى» وبعض العساكر، نجمع، ونرمى فى حديقة المتحف..

□ لكن!.

ـ لكن ماذا ياحاج؟.

ـ يقول مهران: فيه حاجة حزين عليها.. كان فيه موقع اسمه (٥) لقيت فيه طائرة فانتوم مصابة.. قلت أنا عاوز هذه الطائرة.. كلمت المحافظ.. كلمت الدنيا كلها.. قالوا لى: هانجيبها إزاى ونحطها فين!.

□ كل يوم أذهب إليها، واتفرج عليها (!!!!).

□ انتهت المعركة!.

□ قلت لهم: نقطع الطائرة أجـزاء، وتنقلها، وبعدين تلحمها!.

□ بعدها أمريكا أرسلت اليهودى كيسنجر يتفاوض مع السادات!!.

□ وكان فيه بعض الطائرات الأمريكية بتبحث فى القناة.. قلت له الطائرات دى.. تشيل الطائرة الفانتوم لغاية المتحف!.

□ قالوا لى: إزاى طائرات أمريكية .. تشيل طائرة أمريكية.. علشان يتفرج عليها المصريون!!.

□ وماذا عن حال الناس؟.

ـ يقول: لم أر الناس ـ أبدا ـ فى بورسعيد متآلفين ومتأنفين، قدر فترة النكسة!! الست بتاعتى كانت بتقعد أسبوعين فى رأس البر مع الأولاد، وأسبوعين معى فى بورسعيد.. كنت بين أيدى أصحابى، نسهر ونروح أى بيت (عشرة أنفار أو خمسة عشر) أى واحد يجيب أكل.. أى واحد يطبخ.

كان حب.

ياريته دام..

ياريته دام.. وياريت بورسعيد ما اتغيرت!!.

لقد كانت الفترة من ٦٧ حتى ١٩٧٥ عبارة عن حلم جميل!.



الشاهد الثانى!

محمد النمس (الترسانة البحرية ـ بورفؤاد)

لم أترك بورسعيد فى الفترة من ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٣، كنت عام ١٩٦٧ عندى ٣٦ سنة.. مش معقول نترك البلد، ونسيب الستات هنا، مش ده الدم المصرى، وأنت عارف إنه مفيش أغلى من البلد!!.

انضميت لكتائب المقاومة الشعبية، ولأنى دخلت الجيش من ١٩٥٨ وحتى ١٩٦٢، تدريب عسكرى، علشان كده كان من السهل التعامل مع السلاح فى المقاومة الشعبية.

☐ وما حال الناس؟.

ـ الحب كان يجمعنا.. والخوف أيضا. كلنا ينام فى مكان واحد.. رغيف واحد نقسمه على خمسة.. كنا ـ فعلا ـ مبسوطين! كان فيه حب ووفاء وإخلاص أكدته الوطنية والانتماء للبلد!.

☐☐☐

كنا عايشين فى قلق (٦٧ ـ ٧٣) غارات على طول، الطيران الإسرائيلى مكنش بيتركنا، ليلا نهارا، ودائما ـ كنا

ـ مع الراديو، ما حال قواتنا، الاستنزاف شغال، والجيش فى السويس والقنطرة شرق.

٦ أكتوبر ١٩٧٣

الفرحة لاتوصف! هيستريا.. الله أكبر.. العبور.. الطيران المصرى فوق، بيضرب، والإسرائيليون طاش صوابهم، بيضربوا فى أى مكان.. فى الوقت اللى الدفاع الشعبى له أماكنه، ومواقعه، وقايم بالواجبات المكلف بها.

ـ يصمت برهة!.

ـ يعاود النمس الكلام: يوم ٢٢ أكتوبر عملوها اليهود.. ضربوا سوق الحميدى الساعة ١١ صباحا.. كنت خالى شغل (فى بورفؤاد).. استأذنت علشان أشوف (المدام) كانت تعمل ممرضة فى المستشفى العام.. فى المستشفى شعرنا أن هناك شيئاً غير طبيعى.. فوجئنا بالعربيات الكبيرة بتنزل فى مصابين وموتى!.

الكل كان بيجى.

الحميدى انضرب بالدانات ١٠٠٠ رطل.. المبانى هدمت، الكل انصاب، حتى اللى عاش.. عاش مشوه.. نزلت مع

الممرضات أشيل الجثث.. وأحطها فى المشرحة، ذراع مين؟ رجل مين.. معرفش؟.

كل واحد فلوسه واقعة من جيبه.. عشرات.. جنيهات.. كانت الناس «قابضة مرتباتها».

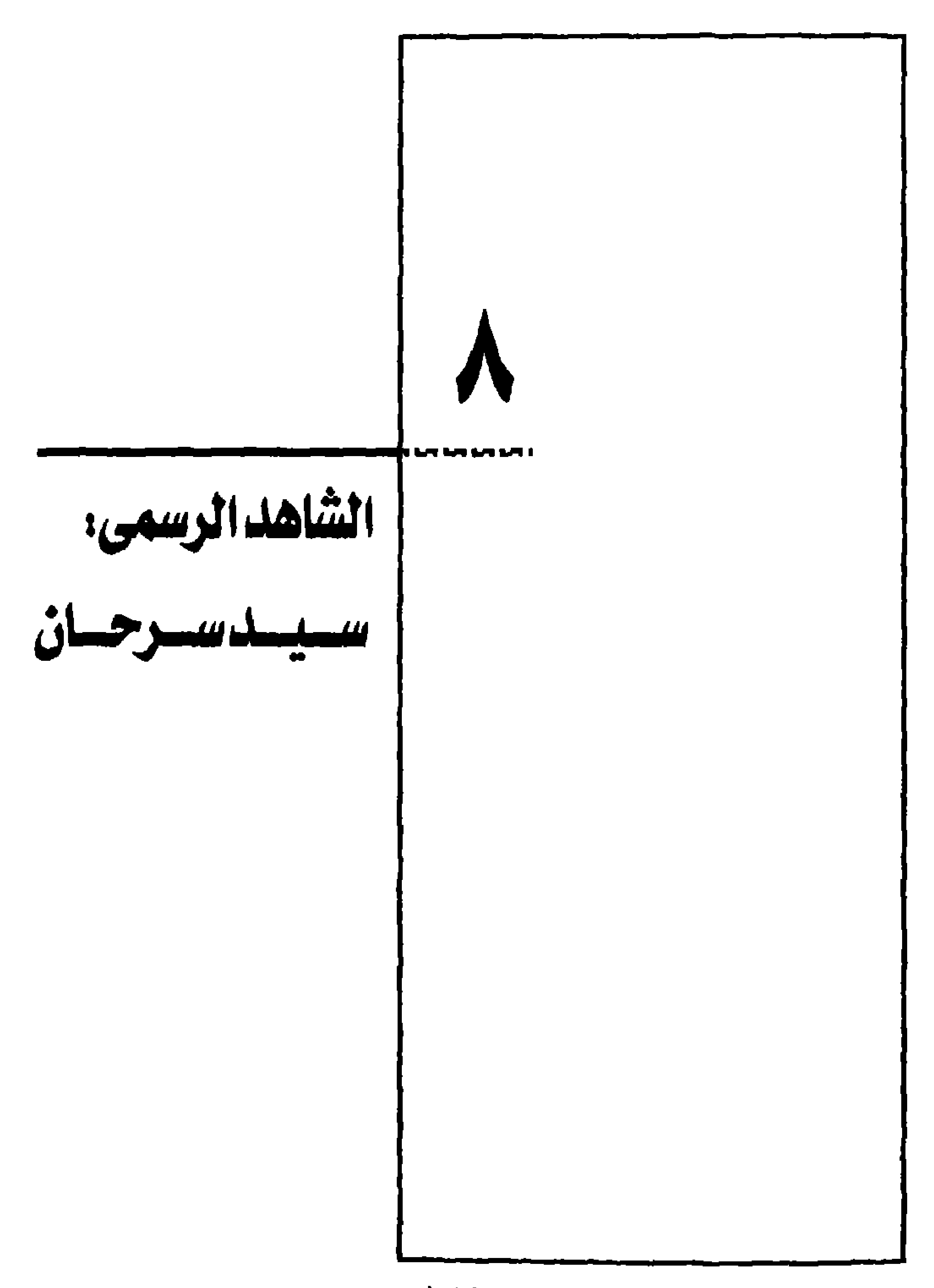
موظفون من الشئون الاجتماعية بدأوا فى حصرالبيانات، المشرحة مليانة، والعربيات تملأ، وتفرغ.

مفيش واحد مد يده على فلوس «مصاب أو ميت»!! لأنه مفيش حد ضامن عمره.. كنا نقول «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» فى الدقيقة ١٠٠ مرة.

الكل متوقع الموت فى أى لحظة.. وكان ذلك هو السبب فى الترابط بين الناس.. فيه البعض يقول: «كانت أيام سودة»!! وأنا أقول: «كانت أيام حلوة» وذكرياتها لن تذهب من رأسى.. لأن حب الناس مازال مزروعا فى قلبى من أيامها»!!







٨

الشاهد الرسمى: سيد سرحان

يقول : مدن القناة تم تهجيرها فى ١٩٦٧ .. أما بالنسبة لبورسعيد.. فقد تم التهجير فى أبريل ١٩٦٩ .

اعتبر أن رحلة التهجير «أقسى» ما يمكن أن يجابهه الإنسان فى حياته ، هى رحلة أمل، ذلك أنه من الصعب أن يترك الإنسان بيته فى ظروف غير طبيعية، ليرحل إلى معسكرات تهجير ، لا يعلم متى سيعود الى داره مرة أخرى .

- انقطع الرزق .

- وتعرض الناس فوق ذلك لمتاعب مالية كبيرة، وتعيشّوا على مدخراتهم، أو البقية الباقية منها، وعلى إعانات الشئون، وحاول البعض منهم أن يفتح موردا للرزق في مكان تهجيره، ولكنه لم يتحقق لأى منهم ماكان يأتيه من دخل فى بلده «بورسعيد» .

□□□

ظروف الحياة - نفسها - فى مناطق التهجير كانت تختلف عن الحياة هنا ، المدينة الحلوة الهادئة النظيفة ذات الشوارع المستقيمة، والمبانى الحديثة، والليالى الحلوة، ذهب كل ذلك، ولم يبق فى عيون المهجرين إلا «الألم واليأس

والأمل».. أن يعودوا الى ديارهم.. ويبقى فى بور سعيد جزء قليل (نحو ٢٠ ألف) ليجابه سير الحياة الطبيعية، والمرافق فى المدينة قدر الإمكان، ويكون كتائب الدفاع الشعبي، والمدني، لمواجهة أى عدوان قد يحدث على المدينة، والمساهمة فى الدفاع عنها خلف القوات المسلحة.

وكان المستبقون يبقون فترة فى المدينة، والفترة الأخرى مع ذويهم فى المهجر ، وشكلت لجان التهجير التابعة لأمانة الاتحاد الاشتراكى العربي، لرعاية شئون المهجرين فى محافظات التهجير ، وحل مشاكلهم أولا بأول .

□□□

المرحلة قبل ٦ أكتوبر كانت مستغرقة تماما فى الإعداد للعمليات الحربية، القوات المسلحة مواقعها داخل المدينة، ومن حولها، والدفاع الشعبى الذى يأخذ مواقع من خلفها، والتدريبات العسكرية، وتدريبات الدفاع المدنى تسير على قدم وساق وبهمة كبيرة، وكانت تحدث دائما تجارب غارات على المدينة، والعمل على تلافى أى نقص، وتطوير مايحتاج منها إلى تطوير.. مع : توفير المصادر الأساسية والبديلة للتغذية والمياه، التى كانت موجودة بصفة احتياطية فى بحيرة مغلقة

جنوب المدينة، فى بحيرة المنزلة لمجابهة انقطاع مصدر المياه الوحيد، وقد حدث ذلك فعلا ، عندما ضرب العدو جسر الترعة، محاولا قطع المياه عن المدينة، ولكن المهندسين المصريين والعمال المصريين، وبمهارة عالية أعادوا اصلاح الجسر، ولم يمكنوا العدو من تحقيق غرضهم فى عملية فدائية رائعة!

أيضا : أخذ فى الاعتبار إنشاء طريق بين بورسعيد ودمياط ليكون فى خدمة حركة النقل من وإلى المدينة، الى جانب الطريق الأصلى بين بورسعيد والاسماعيلية، والذى كثيرا ماكان يتعرض لضربات من العدو.

كان هناك مخزون احتياطى من جميع الأغذية لمجابهة احتياجات الموجودين منها ، ولمدد كافية، ويتم تجديد هذا المخزون أولا بأول بمعاونة الأجهزة التنفيذية والشعبية والقوات المسلحة من خلال «غرفة العمليات الرئيسية» بالمدينة برئاسة المحافظ «اللواء عبدالتواب هديب» وعضوية أمين الاتحاد الاشتراكى وممثل القوات المسلحة والأجهزة المعنية ومدير الأمن .

كانت كل الاتجاهات تحقق الاستعداد الكامل، بأن تكون جاهزة تماما، عند بداية العمليات الحربية.

لم يكن المستبقون لهم «هدف» إلا «استكمال تجهيزات المدينة» والاستعداد لملاقاة العدو الذى يحاول أن ينال منها .

فقد كانوا جنودا على استعداد أن يلقوا الشهادة فى سبيل الدفاع عن بلدهم .

للتاريخ .، وقبيل ٦ أكتوبر تم اجتماع تاريخي، فى النصف الثانى من أغسطس، عقده الرئيس السادات فى برج العرب، مع محافظى منطقة القناة الثلاث وأعضاء الاتحاد الاشتراكى بها ، للإطمئنان على كل مايخص الاستعداد للمعركة، والتجهيز لها ، وتم تصعيد كل ما يخص المعركة بالاستعداد الى أقصى درجة بعد هذا الاجتماع مباشرة، لتلقى تعليمات المواجهة فى أى لحظة.

وفى يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ وفى الثانية ظهرا، بدأت معركة النصر ، وبدأنا نسمع فى بورسعيد طلقات المدفعية المصرية تدق خط بارليف وتحطمه، والطائرات المصرية تعبر من فوق المدينة، متجهة إلى قلب سيناء المصرية، تحطم حصون العدو مواقعه، والقطع البحرية للقوات المصرية تنطلق إلى عرض البحر، لتضرب مواقع العدو على شاطئه، فى سيناء، ويعبر الجندى المصرى ليصل إلى الضفة الشرقية

للقناة، وترتفع كلمة «الله أكبر .. الله أكبر» وتعود الأرض إلى حضن أمها مصر، فى انتصار عظيم، يظل التاريخ يسجله إلى الأبد.

مرت الأيام الأولي.. نتابع هذه الملحمة الكبيرة وظللنا حتى يوم ٧ أكتوبر، نتابع معركة قوية فى «رأس العش» يقودها العميد صلاح عبدالحليم، حتى سقط هذا الموقع الحصين، أتوا بالأسرى من الأعداء، إلى موقع داخل بورسعيد، كان المستبقون يهللون عندما يروهم بالهتاف لمصر، وللقوات المسلحة .

حاول العدو أن ينال من صمود بورسعيد يوم ٨ أكتوبر الساعة ٥.٢٠ مساء ، فخرجت طائراته لتضرب الأهداف المدنية، وضربت أهداف فى شارع الجمهورية ، يعنى البرية وماحوله وأهدافا فى بور فؤاد، فى محاولة للتأثير على الروح المعنوية، ولكن ذلك زاد العزيمة قوة والصمود صمودا .

ويحاول العدو مرة أخرى بالقاء فوانيسه المضيئة ليلا، ليضرب الأهداف المدنية مرة أخري، فيصيب «مستشفى الدليفارنت» والمنطقة المحيطة بها ، ويسقط الشهداء ولكن تبقى العزيمة فى تصاعد.

تستمر المحاولات، وبورسعيد كعهدها دائما لا تخشى نيران العدو، الذى سبق أن لقنته مع غيره درسا لن ينسى فوق أرضها فى ١٩٥٦، يضرب العدو مواسير المياه وأثناء الغارة تتوجه فرق الإصلاح فى فدائية كاملة يضرب العدو، مواقع توليد الكهرباء ويتوجه العمال للإصلاح دون خوف من قنابل العدو، بضرب خطوط التليفونات، ويتوجه العمال للإصلاح، فى بطولة وطنية.

لم تتوقف الحياة رغم القصف، ولم يتأثر الناس معنويا بهذا القصف.

كانت ملحمة من البطولة والفدائية .

حاول العدو أن ينزل وحدات من أفراده فى شرق بور فؤاد.. ولكن المدفعية الساحلية لقنته درسا لن ينساه، ويعود يجر أذيال الخيبة، من أمام شواطيء بور فؤاد .

يحاول أن يدفع بضفادع بشرية يضرب وحدات القوات البرية فى ميناء بورسعيد فيصطاد افراد القوات البحرية المصرية، ضفادع الأعداء، ويحملون جثثهم ليطوفوا بها المدينة وسط تهليل المواطنين .

إتخـذت غـرفـة العـمليـات أو لجنة المعـركـة ، قـرارها : «بالاستعداد التام لمجابهة أى انزال او محاولة لدخول المدينة فى ثبات وقوة» .

- القصف الجوى بكثافة كبيرة مستمر .

- العدو بدأ يلقى قنابل «البلى» والشراك الخداعية .

ورغم ذلك . الصمود يزداد ، والعزيمة تقوى والالتحام قوى جدا، بين أبناء المدينة وقواته المسلحة .

□□□

وتمر أيام المعركة، حتى قبيل وقف اطلاق النار بيوم واحد، ويضرب العدو ، ضربة كبيرة للمدينة فى قلب شارع الحميدى، ذو الكثافة السكانية الكبيرة، فيستشهد البعض ويصاب البعض الآخر، وتستقبل المستشفيات ؟؟ من العسكريين والمدنيين، وتحتاج الى كميات من الدماء للمصابين، ولا يكفى المخزون فى مستشفيات المدينة، فترسل إلى مراكز التهجير فى الدقهلية ودمياط تطلب دماء لإنقاذ المصابين فيأتينا، اضعاف اضعاف ما طلبنا من أبناء بورسعيد المهجرين، لحسهم وشعورهم مع أرضهم وبلدهم والملحمة مستمرة، وكل يوصل الليل والنهار، ورغم التعرض

للاستشهاد فى أى لحظة.. إلا أن ذلك لم يوقف أحدا عن أداء واجبه .

□□□

غارات مكثفة من الطائرات على المنطقة التى تقع بها غرفة العمليات الرئيسية، فى محاولة لضرب الغرفة، فتصيب القنابل المنازل المحيطة ويستشهد مهندس المياه الذى كان موجودا ثم يأتى المساء، ويضرب العدو موقع الترسانة فى بور فؤاد، ويقوم عمال الهيئة وأجهزة الإطفاء والدفاع المدنى بالسيطرة على الموقف بسرعة، دون إحداث خسارة كبيرة.

ويزيد هياج العدو ليلتها، فتتوجه طائراته لتضرب نقطة الإطفاء فى بور فؤاد، فتتحطم بعض السيارات والأجهزة، ويصاب ويستهشد عدد من الجنود ويخرج اللواء صالح بدر الدين مدير الأمن، ليتوجه عبر القناة إلى بور فؤاد، ويطمئن على رجاله ويعيد ترتيب مركز الإطفاء ، فى إيمان كبير .

أثناء المعركة ، بعض قيادات الاتحاد الاشتراكى – آنذاك – توفد لزيارتنا فى بورسعيد ، وكان الوصول أمرا صعبا .. أثناء تواجدى أمام غرفة العمليات وفى الظلام، فوجئت بالمهندس ابراهيم شكرى (أمين المهنيين) يصل الى بورسعيد

للاطمئنان على الأحوال، ويبيت الليلة ويسافر فى الصباح، ولكن عبر لنش صغير فى بحيرة المنزلة، لصعوبة السفر بالطريق، وأذكر : أن اللنش بدأ يتحرك، ونحن نتحين فرصة الدقائق التى تخلو من وجود طيران العدو فى سماء بورسعيد، وقصفه لها .

هكذا كانت الأمور تسير فى بورسعيد الصامدة القوية التى كانت وسوف تظل مضرب الأمثال فى الصمود والعزة والكرامة والفداء ، لمصر الغالية.

نسبة كبيرة من المبانى السكنية والخدمات تأثرت بفعل العمليات الحربية، سواء بالقصف أو بالتفجير ، نتيجة للقصف المباشر خاصة فى بور فؤاد حتى أن مسجد بور فؤاد الرئيسى أصيب بقنبلة مباشرة، والكنيسة اليونانية فى شارع سعد زغلول، أصيبت ـ أيضا – لم يكن العدو يفرق بين الكنيسة والمسجد فى قصفه لبورسعيد، وبين ماهو مدنى أو عسكري، فقد أصابته الهزيمة باللوث والهذيان .

فور بدء العمليات الحربية فوجئنا أن أعدادنا غير قليلة من أبناء بورسعيد موجودون بالفعل ، ارتباطا بها ، ولم يغادروها، وكانوا بعيدين عن حصر الأجهزة ، لارتباطهم

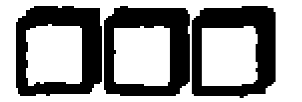
الشديد ببلدهم . فبذلنا جهدا كبيرا لترحيل النساء والشيوخ منهم حتى لا تزداد الخسائر المدنية نتيجة للقصف المستمر.

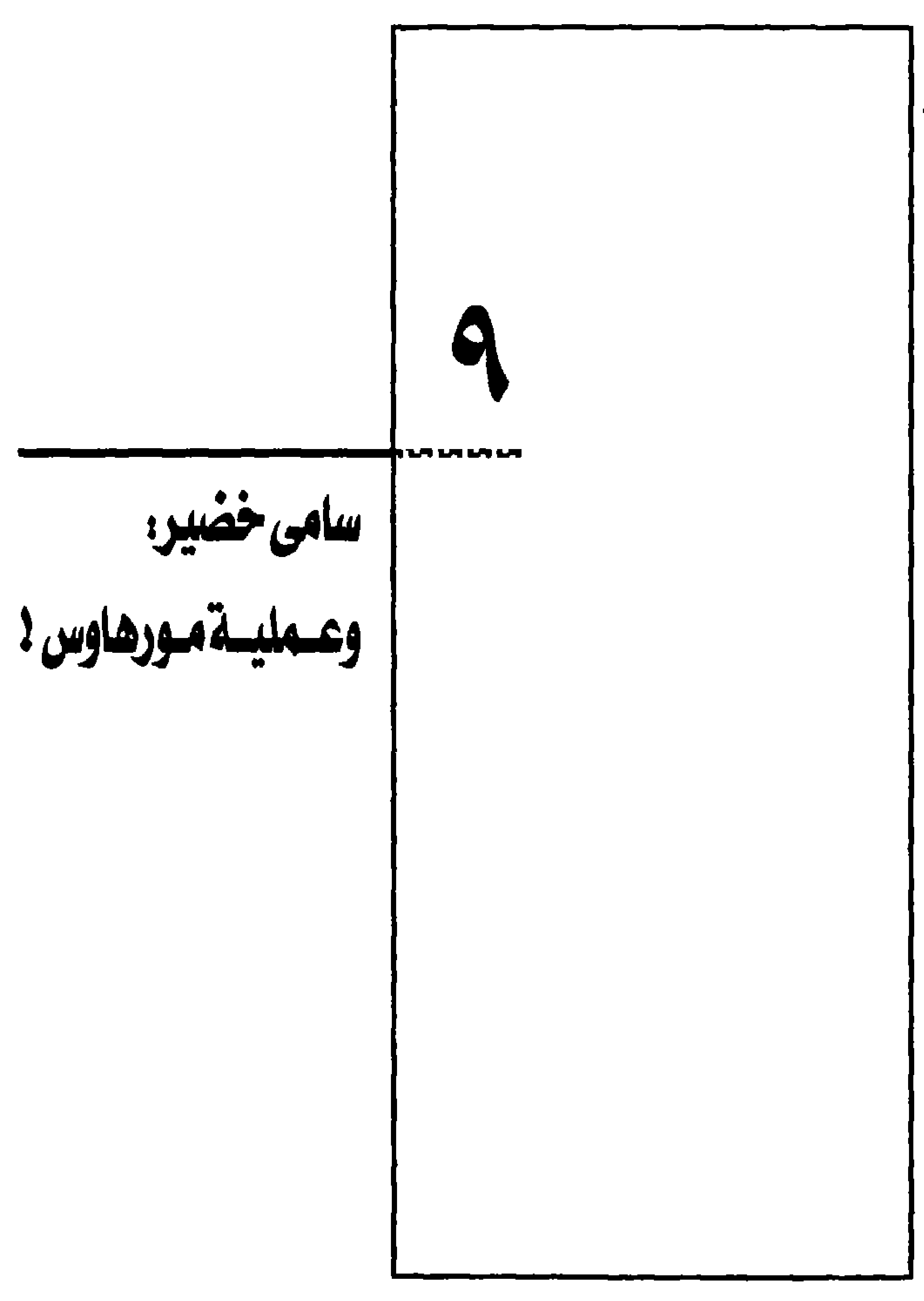
أما المستبقون بصفة رسمية فكانوا «بخيارهم» ورغبتهم يؤدون عملا وطنيا خالصا ، وباقتناع تام .

كان دخول المدينة حتى يوم ٦ يونيو ١٩٧٤ بتصاريح خاصة ، وعقد الرئيس الراحل أنور السادات مؤتمرا شعبيا شهده المشير أحمد اسماعيل وأعلن في المؤتمر «سقوط التصاريح» ثم انتهى المؤتمر وغادر بورسعيد فى الثانية بعد الظهر .

فى الرابعة «عصرا» طلبنى اللواء أحمد منير محافظ بورسعيد تليفونيا، وقال: إنه علم بأن بعض الناس تدخل بور سعيد من الغرب .. ذهبت الى مشارف المدينة، أجد شيخا هرما تجاوز السبعين ينحنى ويقبل تراب بور سعيد!! فقد زالت سنوات التهجير والغربة، ومع أن المدينة لم تكن مهيأة لاستقبال هذه الأعداد منهم ، إلا أنهم تحملوا وصابروا وثابروا ، حتى كتبت لهم الحياة على أرضهم .

الواقع .. أنه كان عملاً جماعياً .. وبطولة جماعية .





٩

سامى خضير:

وعملية مورهاوس!

بورسعيد .. التاريخ والحاضر .. الأصالة والبوتيكات.. مثيرة - دوما - للجدل !

والشخصية البورسعيدية المقاومة، الرافضة، لكل أشكال القهر ، المتعصبة - إلى حد التهور - للكرة، تصبح مادة مثيرة للبحث الصحافى.

كما يصبح - أيضا - الحديث والحوار «الجدلى» مع محافظها السابق سامى خضير، ذو نكهة خاصة، فالرجل صاحب تاريخ وطنى، لكونه واحداً ممن شاركوا فى العمليات الوطنية الخاصة أثناء العدوان الثلاثى على مصر ، برغم كونه «ضابط بوليس» .

من هنا : كان حتميا أن يدور الحوار عما تم خلال التاريخ النضالى للمدينة، وأقرر : أن الرجل حاول أن يقدم صورة جماعية للنضال، ولم يدع أدوارا بطولية خاصة به .

وبالطبع كان لابد للحوار أن يصل إلى منطقة الجدل الساخنة وهى «تجربة بورسعيد كمنطقة حرة» .. وكان الرجل- أيضا - واضحا وصريحا .. يحلم بتنفيذ خطة اقتصادية تنقذ المدينة من عثرتها .

وكان الحوار :

□ قلت : سيادة اللواء سامى خضير .. الحديث معك يخضع لذكريات وطنية، تثير فى نفسى الحماس لملحمة الماضى، واقعه ودافع، للحوار عن المستقبل .

وفى البداية.. أود الحديث مع ضابط قسم قوات أمن بورسعيد الشاب الملازم أول سامى خضير فى العام ١٩٥٦ الذى كان يفرض موقفه الأمنى، مساعدة «السلطة الحاكمة.. أيا كانت هذه السلطة» !

لكن ماحدث كان غير ذلك ؟!

ما المبرر ؟ وكيف كانت الوسيلة؟ وما النتيجة؟

□□ ألمح فى وجه الرجل تغيراً .. فقد اكتسى وجهه بوميض هل هى العودة الى الشباب، أم إلى سخونة الأحداث التى فرضت على الجميع «مسحة الوطنية» !!

قال الرجل بعد صمت دام «لحظة» لكنها كانت طويلة : سؤالك - هذا - يعود بالذاكرة ٤٢ سنة كاملة!! وأتذكر - وكما تعرف - عندما كنت أشغل وظيفة ملازم أول بقسم قوات أمن بورسعيد وإن كنت - بطبعى - أميل إلى الناحية الانضباطية ، ومن هنا كنت أرحب بأن أعمل فى مثل هذا

الموقع النظامى ، والأصل فى ضابط الشرطة هو : التزامه بالشرعية، وإن كان ليس من المعقول - أن يكون لضابط شرطة رأى بعيد عن الخط السياسى للدولة، إلا إذا كان هناك عمل مكلف به هذا الضابط، يفرض عليه أن يطرح آراء توضح للقيادة السياسة أموراً معينة، وهذا بطبيعة الحال، من اختصاص أجهزة الشرطة السياسية على اختلاف مسمياتها .

وبطبيعة عملي بقسم قوات أمن بورسعيد كنت أزاول المهام الخاصة بالتأكيد على استقرار الأمن الداخلي، علاوة على أن هذه الفترة كان يصاحبها أحداث وطنية مهمة، هى خروج المستعمر الانجليزي.. وأتذكر أن المرحوم الرئيس جمال عبدالناصر رفع علم مصر على المحطة البحربة داخل ميناء بورسعيد، وكان هذا هو يوم خروج آخر بريطانى من منطقة القناة، ثم تأميم قناة السويس، وظروف التوتر التى حدثت، والعمل الوطني، لا يمكن أن تفرق فيه بين ضابط القوات المسلحة وضابط الشرطة، والمواطن المدنى، فالكل ينخرط فى عمله لصالح بلده ، والحروب عادة ينظهر فهيا أبناء الشعب الواحد على اختلاف تخصصاتهم فى بوتقة الدفاع عن الوطن .

من هنا كان واجبى أنا وزملائى فى قسم قوات أمن بورسعيد سواء من الجنود أو الضباط أن نعد أنفسنا لمواجهة احتمالات العدوان على بورسعيد من القوى المعتدية، وهو ماحدث تلقائيا ودون توجيه، لأن العمل الوطنى لا يحتاج لتوجيه، وكان التنسيق كاملا بين الشرطة مع القوات المسلحة وأبناء بورسعيد من الشباب والمدنيين حيث خرجت جماعات لمقاومة العدوان من هذا الكيان المصرى المتكامل .

وكانت ملحمة الدفاع عن بورسعيد عملا رائعا شارك فيه أبناء بوسعيد العزل من السلاح بعد تسلمهم السلاح وأبناء القوات المسلحة خاصة بعد احتلال المدينة، وكان للشرطة دور رائد فى هذا المجال سواء فى مرحلة النزال مع القوات المعتدية، أو بتواجدها الدائم فى بورسعيد، وبور فؤاد، من خلال المقاومة الشعبية المنظمة التى أثرت بالفعل على التصورات التى كانت لدى القوات المعتدية، ومن هنا كان رحيلها بعد ٤٣ يوما - فقط - من العدوان .

من أجل التاريخ

□ هناك واقعة محددة شارك فيها الملازم أول سامى خضير هى واقعة اختطاف الضابط

البريطانى المدلل «مور هاوس» سواء كانت مشاركة فى الاختطاف، أو التخطيط له ، أو المراقبة..

أود أن تشرح لنا كيف تمت عملية الاختطاف؟

□□ لسببين : أحدهما خاص والآخر قومى ، فالسبب الخاص يعود الى أن ابنى طلب منى أن يسمع قصة المقاومة فى بورسعيد والسبب القومى هو تسجيل هذا التاريخ الحافل بالبطولة لأجل الأجيال القادمة..

أنا اعتبر ما قمت به وأقوم به ، هو واجب وطنى وليس أمراً متميزا عن الآخرين ، ولا اقبل أن أزكى نفسى، فقد يكون هناك من قام بعمل أفضل، وأكفأ منى ، لكن الشرطة فى بورسعيد وأنا بصفتى ضابطا شابا ومن أبناء بورسعيد شاركنا فى أمال وطنية ليس بعد الثورة فحسب، بل قبلها كذلك، ولا أتصور أن هذه أمور غير عادية، وعملية «مور هاوس» لم تكن البداية أو النهاية، بل هى مجرد أمر عارض فى الطريق، وكنت لابد أن نشارك فيها بكل ما لدينا من إمكانات .

□ قلت : سيادة اللواء فيما يتعلق بالتاريخ فقد آن الأوان لكتابة تاريخ بورسعيد بشكل صحيح وهى فرصة لأن نوضح للأجيال القادمة ليعلموا ماحدث

فى زمن كانت تراق فيه الدماء بحب، لذلك لابد أن يقال ذلك للناس لتنشيط ذاكرتهم فى زمن سيطرت فيه البوتيكات على عقول الناس .

□□ كان «مور هاوس» ضابطا برتبة ملازم وكان متمركزا فى مدرسة الفرير فى بورسعيد، وعن طريق متابعته ومراقبته لمجموعة من شباب المقاومة استطاع أن يدفع بالمخابرات البريطانية!! ضبط سبعة ضباط يعملون بالمقاومة ويسكنون بالقرب من المدرسة، ومن هنا كلفت المقاومة الشعبية بعمل كمين لضبط هذا الضابط البريطانى وتم ذلك فى فجر أحد الأيام على يد مجموعة من رجال المقاومة منهم المدنيين والشرطة والقوات المسلحة، فأثناء مروه فى الشارع قامت المجموعة بضرب جنوده واعتقاله، وأخطر بعض الأجانب المتعاملين مع الاحتلال القوات البريطانية بذلك، وتمت عملية نقل الضابط إلى موقع خلف المدرسة بعيادة أحد الأطباء، والسيارة رقم ٢٧ التى استخدمت وشوهدت وأعلن عنها فى الإذاعة البريطانية تم التخلص منها بوضعها فى مكان خلف المكان المحبوس به الضابط وعندما وجد الانجليز السيارة قاموا بمحاصرة المكان، ومرض الضابط وحاولنا احضار طبيب لكنه توفى، وقمنا بنقله ودفنه .

والذى أحب أن أقوله أن عمليات المقاومة كلها لابد أن يكون لها قيادات وأنا بصفتي من أبناء بورسعيد قمت بواجبى نحو وطني، كنت واحدا من الذين يديرون هذه العمليات ليلا ونهارا .

وهناك أدوار متكررة ومتعددة يوميا كعملية ضرب ضابط المخابرات البريطانى «ويليامز» بمعرفة شاب صغير عمره ١٧ سنة وقتله بقنبلة يدويه وهى عمليات تدخل ضمن شمولية مخطط المقاومة، وكما كنت أنا ضابط شرطة كان هناك ضباط قوات مسلحة ومخابرات ومدنيين ومجموعة من الشباب، كانوا يقومون بكتابة شعارات مضادة للعدو بصفة مستمرة، على الحوائط والأرض بشكل يقلق ويثير القوات المعتدية.

لقد صهرت معركة بورسعيد الناس وأفهمتهم أهمية العمل الوطنى، ومنطقة القناة بصفتها آخر منطقة رحل منها الاحتلال البريطانى كانت اكثر المناطق حماسا ضد أى احتمالات لأى عدوان وقد طلب مني من قبل ولعدة مرات المرحوم محمد رياض محافظ بورسعيد فى هذا التاريخ - وكنت مفتشا فى أمن الدولة فى الشرقية - أن أكتب مذكراتى ولكن طبعي أنى ما أؤديه لا أحب ذكره ، ولكن أمام الرغبة

فى تسجيل التاريخ والمعرفة، ولأن التاريخ واجب ، لذلك فالتحدث عن بطولات الناس والمقاومة كمقاومة جنود المظلات فى الربوة والجبل والغزو البحرى أمام بورسعيد ، من هنا أتذكر من زملائى الضابط : فتحى أبو رية وهو دفعتى وقد أصيب برشاش طائرة وقد اصيب فى «جنبه وكتفه» ، ومازالت الطلقات بجسمه حتى الآن وذلك لصعوبة استخراجها وكثرتها !! وكان معى المرحوم حسنى خليفة ومجموعات أخرى من الجنود والأبطال بعضهم استشهد ..

وعندما الخص ذلك أقول : إنه كان عملاً وطنياً وواجبا .

٥ يونيو .. وأحلام التقدم

عشت - أحلامنا - كمصري، ومعنا نحن المصريين فى التقدم عقب حرب ١٩٥٦ .. وكانت ٥ يونيو الحزينة، وست سنوات من الانتظار والترقب، ثم كان أكتوبر العظيم .. أحكى للتاريخ ولنا هذه المرحلة .. كيف كانت هذه الأيام؟ وما النتائج؟

فى يونيو كنت أعمل مفتشا لأمن الدولة فى محافظة المنوفية لكن عائلتى كلها كانت فى منطقة القناة فى بورسعيد والسويس، وكان دورى تجاه أبناء السويس وبورسعيد أن

أحتـــوى وأخفف آلام هــؤلاء الناس نتيجة التهجير، وتـــرك ديارهم، والحـمـد لله وفقنا أن نريح كل من انتـقل منهم إلى المنوفية أو الغربية حيث وفرنا لهم المساكن والإيواءات.

ولكن عندما أتذكر في ٥ يونيو و٦ أكتوبر أجد فارقا كبيرا بين التخطيط واللاتخطيط وبين النظام واللانظام، بالقطع هذا نتيجة لطبيعة العناصر التى تتولى الأمور الحربية والعسكرية، لذلك نجد أن هناك تبـاينا واضـحـا فـى الكفـاءة، والتنظيم، ووضع الاستراتيجيات.

أمـا خـلال ١٩٧٣ فـقـد كنت أعـمل مـفـتش أمن الدولة فى الشرقيـة وكان يربطنى باللواء عبد المنعم خليل قـائد الجيش علاقة صداقة وفى اليوم الثانى للحرب ذهبنا إلى الاسماعيلية وكان معنا المرحوم المحافظ شكرى أيوب، مدير الأمن وزرنا مـواقع العمليات فى الإسـمـاعيليـة، ورأينا العطاء الذى قـدمـه شباب ورجال مصر فى القوات المسلحة فى منطقة الدفرسوار والإسماعيلية، ولم يسعدنى الحظ فى هـذا الوقت أن أتواجد فى منطقـة القناة، ولكن كـانت هناك مـجـمـوعـات من رجـال الصاعقة فى الشرقـية والزقازيق حـيث كنا نتدرب كـضـبـاط

شرطة ومدنيين على استخدام المدافع المضادة للدبابات، حتى نكون مستعدين، إذا اقتضى الأمر المشاركة في أى عملية، وبالقطع العمل الذى قامت به القوات المسلحة فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ هو فخر وشرف لكل مصرى كما أن الناحية النفسية والمعنوية تشكل معدلاً كبيراً فى أداء أى إنسان فى أى مكان، فما بالنا إذا كان فى مجال الحرب.

وقد حضرت فى الشرقية عمليات تقدير لعناصر شاركت فى أسر الضابط الإسرائيلى عساف ياجورى، وضرب الدبابات فى منطقة الفردان، وقد رأيت رقيبا فى القوات المسلحة اسمه محمد قد تمكن من ضرب ٢٣ دبابة فى منطقة الفردان، وهذا يبرز أن الإنسان فى ٥ يونيو هو نفسه إنسان ٦ أكتوبر لكن مع قيادة واعية ومنظمة تقدر المهام المنوطة بها.

الشخصية البورسعيدية والمقاومة

سيادة اللواء: أنت بورسعيدى وواضح أن البورسعيدية فى دمهم الثورة، أو المقاومة، إذن لماذا قاوم البورسعيدية ووضعوا أيديهم فى أيدى بعضهم بما فيهم القوات المسلحة فى عام ١٩٥٦

وخلال أربع سنوات الهجرة، لذلك فإنه من الواضح أن هناك خطا خاصا للشخصية البورسعيدية.

ألا تفسر لنا ذلك، خاصة أن الاستشهاد والفدائية كانتا بدون «دعوة»؟

□□ الناس في بورسعيد لهم مواصفات ومزايا معينة، منها حب الاحتفاظ بكرامتهم، الواحد منهم بسيط لكنه يحافظ على كرامته، وإذا كانت هذه الكرامة فى مواجهة اعتداء صارخ تتحول إلى ثورة، ولا يتطبعون بالنفاق، وهو أمر مريح.. فعندما تتعرض المنطقة لعدوان خاصة أنه كان هناك احتلال واضح، مما يربى لديه وطنية زائدة، وتعطيه إمكانات الثورة ضد أى اعتداء، فهم لا يقبلون الإهانة، وإن كان ذلك يتضح الآن فى مباريات الكرة، ومن «يمكنه فهم» شعب يمكنه أن يحافظ على الأمن وسلامة المباريات، لو حافظنا على كرامته، وهذا هو المنطق الذى أتعامل به مع الناس، فأنا لا أضع أمناً أثناء المباريات وإنما أقوم بجولة وأشعر الناس أنهم موضع ثقة، وأتذكر أنه فى العام ١٩٥٩ كان هناك محاولات للشغب أثناء مباريات كرة وكنت أعمل بالاسماعيلية وحضرت إلى بورسعيد ووجدت تجمعا من الناس وكان معى

زميل اسمه جمال المالطى وسألته هل عندك استعداد لتحمل «ضرب الطوب»!! ودخلنا وسط الناس فإذا بضرب الطوب يخف وناديت على العناصر التى تحدث الشغب ورجوتهم إلى عدم إحداث الشغب فقاموا بتهدئة الناس، وعملية دراسة نفسية الناس مهمة جدا، فالناس تحب الحفاظ على كرامتها، وإذا كان هناك اعتداء أجنبى فلابد أن تكون هناك ثورة ضده ولابد أن يبرز الجميع حجم الوطنية داخل نفوس الناس.

الحكم بعد التفاصيل

□ أنا واحد ممن ينادون بل يتحمسون للتنمية الاقتصادية المخططة لأنها السبيل لخلاص مصر من مشاكلها وقبل أن أصدر حكما أو أن أسمع تقييمك لم حدث ويحدث فى بورسعيد الآن؟

□□ بالقطع بورسعيد التى هجرت عدة مرات والتى شاركت فى التصدى للحروب التى فرضت على مصر ومنطقة القناة عدة مرات، وكانت مرهقة اقتصاديا، نتيجة عمليات التهجير، وانحسار الأنشطة المتباينة التي تعتبر الركيزة الأصلية فى مجالات الاقتصاد، وصدور قرار اعتماد بورسعيد كمدينة حرة تجارية فى مراحله الأولي، كان أمرا

ضروريا بل وحتميا لإحداث تراكم رأسمالى وإعطاء الفرصة لرجال الأعمال للتنمية، وبعد أن حدث هذا الأمر، وحدثت تراكمات رأسمالية لدى بعض رجال الأعمال، اتجه بعضهم للتنمية الصناعية داخل بورسعيد وإن كانوا عددا قليلا، لكن الكثيرين اتجهوا إلى مناطق أخرى مثل الاسماعيلية والعاشر من رمضان لأن أرض بورسعيد تحتاج إلى أعداد معينة.

ولكن التصور القائم لديّ ولدى قيادات بورسعيد السياسية والشعبية أنه لابد من إيجاد الركائز الاقتصادية الثابتة.

❑ قلت للواء سامي خضير: ما حدث فى تجربة العشر سنوات الماضية هل هو النموذج الرأسمالى الصحيح؟

إن ما يحدث الآن فى تقديرى ليس بنظام التنمية الرأسمالية ولكن ما يحدث هو تهريج اقتصادى أكثر منه تنمية؟

❑❑ فى هدوء يقول: بورسعيد ليست لها مصدر رزق إلا الميناء، وقد توقف النشاط فيه تماما، فكان لابد من وجود مصدر رزق، ومن هنا كان قرار المدينة الحرة التى تستورد

السلع ولم يكن فى بورسعيد رجال أعمال لديهم أموال يمكن أن يعيدوا دوران دفة الحياة فيها، وظل النشاط فى الميناء ينحسر حتى الآن، ولا وجه للمقارنة فقد انحسرت أنشطة التصدير وغيرت خطوط اتجاهاتها، كل هذا كان سببا فى ركود شبه شمولى للمدينة، وأعلى مستوى من المناطق الحرة الصناعية مثل سنغافورة قد بدأت كما بدأت بورسعيد بنشاط تجارى.

☐ تجارى أم طفيلى؟

☐☐ تجارى.. فعدم وجود مال، والرغبة فى إقامة صناعة لاتجدى وقد يكون قد دخل بعض الطفيليين من خارج التجارة وهذا حدث كثيرا!!

وقد يكون بعض مواطنى بورسعيد لم يستفيدوا منها حتى الآن!!

لقد كان الحجم الاستيرادى فى بورسعيد والمنطقة الحرة كأقصى حد ٣٦٠ مليون جنيه وهى عملية تافهة جدا بالمقارنة بأى حجم استيرادى لأفراد قليلة فى أى محافظة، وأصبحت ما يقرب من ١٦٠ مليون جنيه فقط، لأن المصانع المصرية بدأت فى إنتاج منتج مصرى متميز، وعلى مستوى بورسعيد

بدأت تظهر صناعة الأحذية والملابس والحلويات والمنظفات ومشروعات أخري، وبدأت المنطقة الحرة تتحول من مخازن إلى مصانع وتصدر ١٠٠٪ من إنتاجها إلى الخارج.. كل هذا كان من الممكن حدوثه عندما يملك الناس القدرة على شراء المصانع والآلات، وهذا كله مرتبط بالظروف السياسية.. والمشاركة مع عناصر أجنبية وعربية، من خلال ارتباط مصر مع الدول العربية والأجنبية، مما يشجع المستثمر غير المصرى، أن يتعاون ويقيم منشآت صناعية، وقد انحسر حجم النشاط الاستيرادى بسبب جودة المنتج المصرى المحلى فى بورسعيد، والقادم من مناطق أخرى فى مصر ورخص سعره، بالمقارنة بالمنتج الأجنبى الذى يرتفع سعره بسبب زيادة سعر الدولار.

وهل نتصور أن تنتهى التجارة أبدا، فهى مستمرة لأنه ما لم تكن هناك تجارة لن توجد صد ن. ونحن الآن من خلال المجلس الصناعى الإقليمى الذى يرأسه المحافظ، تخطط لتصنيع كل ما نستورده ولنا صلات مع مستوردين رجال أعمال، ونرى ما يمكن عمله من مصانع للانتاج إلى أن يتحول المنتج المصرى إلى منتج متميز ويعطى فرصة عمل للأبناء المصريين.

وكذلك تحويل بورسعيد إلى مواجهة سياحية لائقة، فقد ظلت مهدرة لسنوات طويلة، كما أن المفاهيم السياحية التى تبرز على مستوى مصر، لم تكن موجودة وكنا فيما مضى نعلم أن الاسكندرية وبورسعيد مناطق سياحية لأن السفن تأتى إليها، أما الآن قد اختلف مفهوم السياحة، فأصبحت هناك مناطق للغطس والسياحة، والنشاطات البحرية، والبواخر الساحلية، وليس القادمة من أوروبا عبر قناة السويس، وكذلك نقوم بتطوير أنفسنا لمواجهة التغيير فى أنماط السياحة وسوف يتضح ذلك فى سنوات قليلة.

السياحة والحساسية

□ سيادة اللواء: فيما يتعلق بالسياحة تصيب هذه الكلمة بعض الناس بـ«الارتكاريا» فهناك من لا يتصوروا أن السياحة أصبحت صناعة، وليس مجرد أوروبيين يأتون لتقضية بعض الوقت ولا يدفعون شيئا.. هل فى ذهن سيادةالوزير تصور من أجل المصريين للاستمتاع ببورسعيد الشاطئ والمشتى وليس مجموعة الملابس المهلهلة الموجودة بأزقتها؟

أما النقطة الثانية: فإن الشارع فى بورسعيد يتحدث فى مرارة عمّا يعانيه من بورسعيد الحرة!! وإن كان يرقب جمهورك فى الأضلاع الاقتصادية.

بالتأكيد هناك فلسفة فى ذهن المحافظ سامى خضير لأحداث تنمية تعتمد بالأساس على مرتكزات ماذا كانت هناك مرتكزات.. ماهى؟

□□ السياحة هى صناعة بل تسمى المنتج السياحى وتعتبر بورسعيد منطقة سياحية للمصريين ومنطقة حضارية يعبرها بواخر شاملية عليها سياح وتحط بالسائح الذى يأتى والذى يظل فى الباخرة لمدة عشر ساعات ثم يتجه للقاهرة فى رحلة سريعة لزيارة الأهرام ثم يعود للباخرة مرة أخرى.

وقد الستطعنا بالاتفاق مع أصحاب البواخر تطوير هذا النوع من السياحة، حتى تكون بورسعيد منطلق السائح الأجنبى من أجل إقامة الفرصة للعيش بها لمدة ٢٤ ساعة فقط وهذا يدفعنا إلى أمر فهم وهو تطوير مطار بورسعيد ليصبح مطارا دوليا حتى ينقل السائح إلى المناطق البعيدة داخل مصر مثل الأقصر وأسوان وغيرها وتطوير المطار والفنادق يمكن أن يجذب نوعية من السائحين لأن الشاطئ يتسع لأبناء مصر والسائحين.

وعندما أقول أن هناك مرتكزات لتطوير بورسعيد، التجارة من خلال المنتج المصرى والصناعة والسياحة حيث الشاطيء يمتد ٥٥ كيلو مترا من حدود بورسعيد مع شمال سيناء حتى حدودنا مع دمياط.

لذلك تخطط حاليا لاقامة بعض المشروعات السياحية وقد طرح بعضها من خلال الصحف فى مناقصات، وهناك مشروعان فعدلهما، أحدهما هو مصيف النقابات والهيئات لأبناء مصر، ومشروع آخر هو جعل بورسعيد مضيف أو ملتقى للسائح خلال ٩ شهور والتسويق فى الداخل والخارج ومن خلال الشركات والنقابات والجمعيات وكل تكتل بشرى، وما طرح فى الصحف خلال الأيام الماضية ومن يتقدم لهذا المشروع عليه أن يتقدم بخطة تسويق وأن تكون خيراً فى الداخل والخارج فاسم بورسعيد معروف غالبا، ولكن من يأتى عدد قليل، وحتى هذا العدد يأتى ثم يذهب للقاهرة، ولكن هناك جهوداً تبذل من خلال وزارة السياحة.

ويضم المشروع الجديد أكثر من ٣٤٠ كابينة فضلا عن الأنشطة الرياضة وحمامات سباحة، ويمكن أن تجذب السائحين طوال العام، وهو ما يشكو منه التجار والبائعون

الآن لقلة المتـرددين، وهذا النظام يمكن أن يشـجع الناس ويحدث دعارة لدى الآخرين داخل مصر وخارجها وبتوفير المطار ومدينة لليخوت يمكن أن تجذب مجموعات من اليخوت وقد حرصت أن يكون ذلك داخل المدينة فى المنطقة الجديدة، فسأنقل إليها مجموعة من الشباب تعمل فى كل الأنشطة سواء تجارة أو مطاعم أو رياضة أو كل الخدمات فى منطقة بورسعيد الغربية.

وسوف تدعم ذلك بإنشاء الطريق الدائرى حول بورسعيد والذى يبدأ من الكيلو ١٠ طريق الاسماعيلية بورسعيد «المنطقة السياحية الجديدة» دون مشاكل أو حواجز وسيكون مجتمع منشآته السكنية وخدماته المختلفة سواء ظلت منافذ بورسعيد قائمة أم انتهت مع التحول الشمولى بإنتاج كل ما تم استيراده.

□ كم فرصة عمل سيوفرها ذلك المشروع ؟

□□ ليس أقل من عشرة آلاف فرصة عمل لأن كل الأنشطة التنموية، والخدمية، والمصانع، فى جنوب الطريق، وشماله به أنشطة سياحية وما يرتبط به من أنشطة خدمية،

وهذا يفتح فرص عمل، كذلك هناك بور فؤاد أو يمكن دخولها وبها مجالات للتنمية السياحية.

□ لقد تحدثت عن مرتكزى السياحة والصناعة فما هو المرتكز الثالث؟

□□ هو الزراعة، والمحافظة دائما تأخذ المبادرة وقد أنشأنا فى الكيلو ٢٧ - ٣٠ «صوبات» زراعية وصلت إلى ٣٠ صوبة، رغم أن هذه الأرض كانت أرضا صالحة، وأصبحت تنتج الاخلاص فى الأداء والجودة وسلمنا ٣٢ ألف فدان فى جنوب بورسعيد للجمعيات التعاونية الزراعية، وقد أقامت الدولة البنية الأساسية من ترع ومصارف، تكلفت ٣٠ مليون جنيه، وخلال شارع مجد القادم إلى بورسعيد هذه المنطقة خضراء، بعد أن كانت قاحلة.

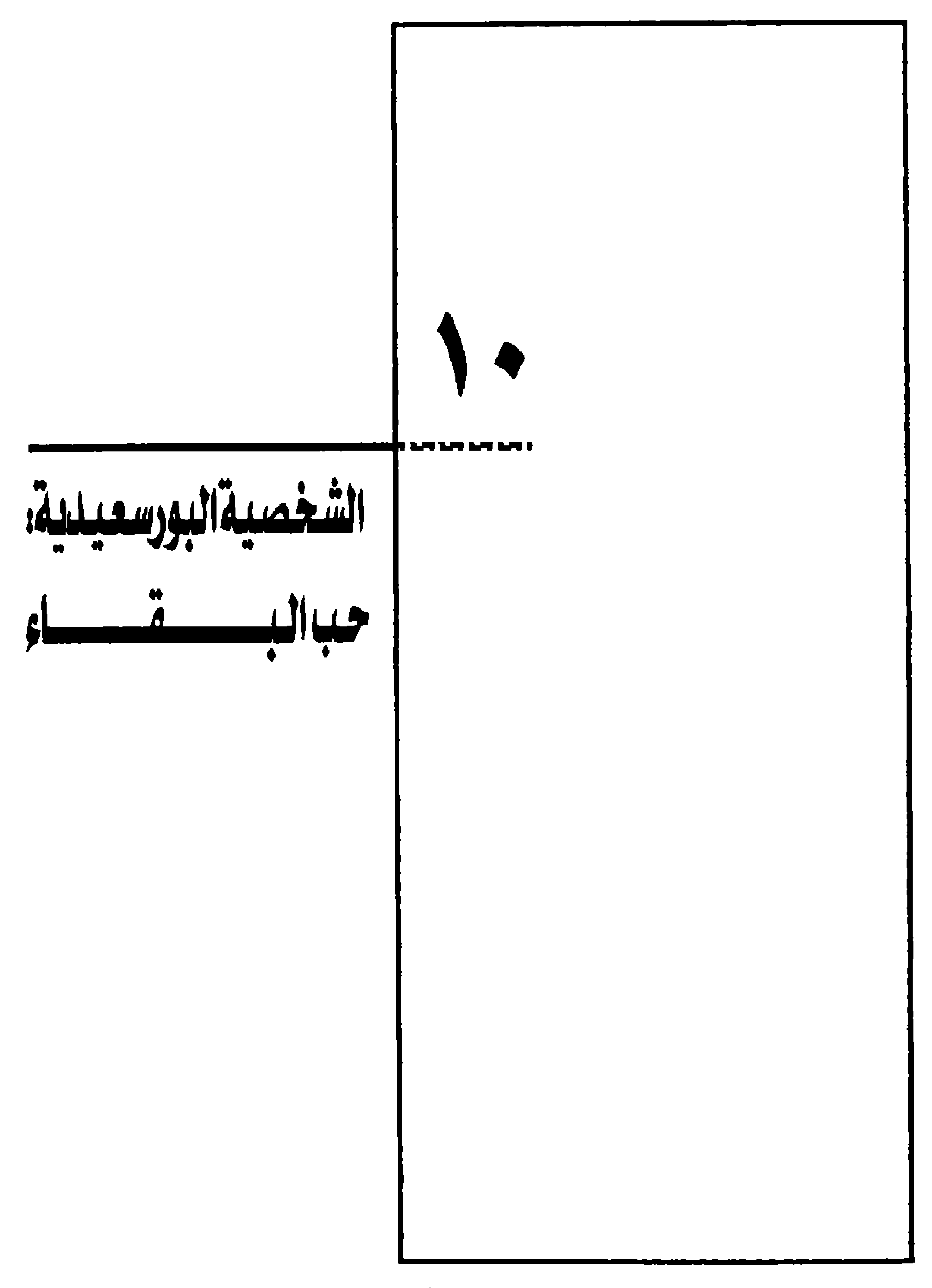
ويرتبط بالزراعة الثروة السمكية والحيوانية والصناعات المرتبطة بالزراعة وسنخصص نسبة كبيرة من هذا الانتاج للتصدير للخارج وهذا توقفنى العمل لتطوير مطار بورسعيد.

يبقى الأمل الذى قامت من أجله بورسعيد وهو النداء الذى يحتاج إلى جهد أكبر، ووقت أكبر وقد أقامت الدولة محطة

الحاويات وقد تم تطوير الأداء فيها بشكل جيد وكثير من الأجانب قالوا: إن أغنى بقعة فى العالم هى بورسعيد لأنها المنطقة التى يعبرها ٢٠ ألف باخرة ويمكن أن تكون التيار الرئيسى فى العالم، للتجارة العابرة، وهو ما ندرسه من أكثر منذ سنة مع أصحاب الخطوط الملاحية الأجنبية، وقد أعددنا دراسات تكلفت الكثير ونحن نرى حتمية تعاون الحكومة مع القطاع العام مع القطاع الخاص، فالجميع أبناء مصر، ويجب أن يتحملوا أمانة مسئولياتهم الوطنية.

ويصل اللواء سامى خضير محافظ بورسعيد فى حواره - الطويل - معى إلى تصوير، بل تجسيد مرتكز فلسفته الاقتصادية التى يعتمد عليها فى حركته فى المحافظة إلى القول: إذن الميناء، والزراعة والصناعة والسياحة، هى العجلات الأربع لجسم السيارة - أى بورسعيد - وداخل هذه السياسة لا توجد التجارة، التى ستظل مرتبطة بالركائز الاقتصادية لتنمية بورسعيد.

□□□



١٠

الشخصية البورسعيدية: حب البقاء

حسن أحمد: عضو مجلس الشعب المصرى (السابق) وأستاذ الإدارة بجامعة قناة السويس، عاشق بورسعيدى، أو قل «درويش» فى حب هذه القطعة الغالية من أرض العرب «بورسعيد».

يقولون عنه فى المدينة الصامدة، انه «رجل موسوعى» فهو صاحب عقلية مرتبة، يعى الحقائق التاريخية، وعياً سياسياً واجتماعياً، وقد افاده جيداً قراءاته ودراسته المتعمقة فى علم الاجتماع والجغرافيا السياسية (!!) خاصة أنه واحد من تلاميذ كل من عالم الاجتماع الكبير د. سيد عويس، والدكتور جمال حمدان صاحب أعظم مؤلف فى القرن العشرين فى مصر «شخصية مصر».. وقد اعطاه ذلك، رؤية بانورامية علمية للتاريخ المصرى خاصة في هذه المنطقة.

وكان الحوار معه - خاصة أنه لم يبرح بورسعيد طوال عمره -!! متعة ذهنية وعقلية، اضفت على ملفنا الإنسانى، فهما متعمقاً وعلمياً لشخصية البوسعيدى المقاوم، المحب للبقاء على أرضه!

☐ قلت: أستاذ حسن.. ونحن بصدد الحديث عن

«قصيدة عشق» اسمها «بورسعيد» المقاومة، المناضلة، عبر مائة سنة أو يزيد.. دعنى أسألك: عن سمات الشخصية البورسعيدية، الرافضة، الصامدة؟

□□ يقول فى تأمل: تكونت السمات الخاصة للشخصية البورسعيدية عبر اجيال، وانصهرت النوعيات المختلفة التى قدمت إليها عبر السنين، وأصبحت شخصية ذات معالم واضحة، وكانت البداية فى العام ١٨٥٩.. حيث قدم الفوج الأول من عمال الحفر المشاركين فى القناة من محافظة الدقهلية، أما الفوج الثانى، فقد جاء من محافظة الشرقية.. ثم توالت أفواج أخرى من: الدقهلية، الشرقية، صعيد مصر خاصة من أسيوط الواصلة حدودها - فى هذا الزمان - إلى ما بعد سوهاج.. وإن كانت عناصر قليلة جاءت من المنيا وقنا وأسوان، والغربية من شمال مصر.

انصهرت هذه النوعيات، أو تلك العناصر فى محافظة، بيئتها فقيرة، لا زرع فيها ولا نبات، كل ما تأكله «مستورد» عبر حدودها!! فهى منعزلة عن جيرانها بمساحات مائية ضحلة، حيث تفصلها بحيرة المنزلة عن محافظتى الدقهلية

والشرقية، وعن سيناء بحيرة البردويل، وإن كانت بورسعيد مميزة فى المواقع بأنها تقع فى اقصى شمال شرق الدلتا، كما تقع على مشارف البحر المتوسط، وتخترقها قناة السويس، وهى بذلك تعد البوابة الرئيسية لمصر، والتى يدخل من خلالها القادم من أوروبا إلى بلاد العرب كلها.

وقد فرضت هذه البيئة على السكان عبر العصور، فعالية البحر، أو الصراع معه، ولذلك يحلو لى أن اسمي إنسان بورسعيد: «الإنسان الذى يغالب الطبيعة الفقيرة»!! فعليه - إذن - أن يستنبط قوته من الطبيعة، كيف يأكل كيف يعيش؟ أين يعمل؟ ومع من يعمل؟

هكذا فرض على المواطن البورسعيدى فى تاريخنا كله، والذى يبدأ من ٢٥ أبريل عام ١٨٥٩، تاريخ أول فأس ضربت فى أرض قناة السويس، وأول علامة لقيام هذه المدينة، والتى سميت على اسم حاكم مصر آنذاك، أن يغالب الطبيعة، فضلاً عن أنه امامنا مرفق اقتصادى مهم نعيش من خلاله «قناة السويس» وميناء بورسعيد، وإلى ماقبل المنطقة الحرة فى العام ١٩٧٥.. كان يقدر عدد الحرف التى تعمل فى الميناء،

بطريق مباشر أو غير مباشر بنحو (٦٢) حرفة.. ذلك يعطى مؤشراً بأن معظم المواطنين الذين يعملون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، هم يعملون - فى واقع الحال - بشكل مذبذب أو غير مستقر، وتلك طبيعة عمل الموانىء بشكل عام فى كل الدنيا.

إثبات الذات!!

لذلك فقد خضعت بورسعيد لظروف الاقتصاد العالمى، فإذا كانت هناك حركة اقتصادية (مزدهرة) عكست نفسها على مواطنى بورسعيد، والعكس كذلك من خلال الكساد العالمى، الذى يفرض ظلاله على حركة العمل فى المدينة.. وهذه الحركة الملاحية من خلال «الميناء والقناة» جعلت المواطن البورسعيدى يذهب صباحاً إلى الميناء ويكد، ويتعامل مع جنسيات مختلفة، فرضت عليه أن يكون «أكثر مهارة وحرفية».

وعامل آخر.. لعب دوراً فى تركيبة الشخصية أن البيئة البورسعيدية، لم تكن - فى البداية - تحمل طبيعة بيئة المدينة، ذلك أن المجموعة الأولى التى تولت عملية الحفر فى

القناة، والتى بلغت ٨٢ رجلاً، كانوا من ريف مصر، من الدقهلية، خاصة مركز فارسكور.

ذلك فضلاً عن أن المدينة فيما بعد، كانت محطة للهجرة العالمية، يونان، ايطاليين، يوغسلاف، وهذا التخالط الغريب من الأجناس، انعكس على طبيعة حياة البورسعيدى، فالعاملون هم المصريون، وأصحاب العمل هم الأجانب!!.. وقد استطاع المصريون فى مراحل عديدة من تاريخهم على أرض بورسعيد، إثبات وجودهم خصوصاً بعد العام ١٩٥٢.

وأسجل للتاريخ انه قبل العام ١٩٥٢ كانت فرص اثبات الوجود «محدودة» أما بعد ٥٢، ٥٣، ٥٤ فقد زادت نسبة البورسعيدية الباحثين عن «إثبات الوجود» بدرجة كبيرة.. ذلك أن الجميع كان يبحث عن فرصة الحياة والمستقبل خاصة من الشباب، وبعد رحيل اعداد كبيرة عن الأجناس الأجنبية التى كانت تعيش هنا فى بورسعيد.

أقول هنا: أن هذا التخالط العجيب بين المصريين والأجانب، جعل «البورسعيدى» أكثر اصراراً على اثبات وجودهم، والذين قالوا للأوروبيين الراحلين: «اننا المصريون قادرون على إثبات قدراتنا الذاتية ليس امامكم فقط، ولكن امام العالم كله»!!

ودعني - أضرب مثلاً عاماً لهذه المشكلة المتفردة - انه عند «الاعصار العدواني فى عام ١٩٥٦» كان التساؤل: هل يترك البورسعيدى المدينة.. أم يتصدى بمصريته لهذا الاعصار؟

والاجابة - كما سجلها التاريخ هو البقاء والتصدى بكل القوة،.. ومثال آخر على شجاعة المصرى فى بورسعيد، انه عندما دخل الانجليز مصر فى عام ١٨٨٢ - وبطبيعة الحال لم أكن قد ولدت بعد.. لكن سمعت وقرأت وسجلت فى بحوثى - خرج المصريون فى بورسعيد مع عرابى ليعرضوا مطالبهم بكل شجاعة وبسالة، ولم يهابوا القتل، وأذكر أن من بين اثار بورسعيد القديمة قرية تسمى «أحمد عرابى» التى كان قد استوطنها بعض مقاتلى عرابى، وهى تقع اقصى غرب بورسعيد.

إذن: المواطن البورسعيدى - في كل مراحل حياته - لم يتأثر بأى عدوان، أو تيارات اجنبية وافدة عليه.. وأضرب مثلاً فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) هل تعاون المصريون مع الانجليز؟ أبدا لم يحدث!!.. وأريد أن أسجل: أن العامل البورسعيدى كان - دوماً - أميناً على مصالح بلاده، وقد ذكر د. النجيلى فى دراسة مهمة له أن أول أحزاب

لعمال الموانىء في مصر، وأول مناداة بتأميم قناة السويس على أن يديرها مصريون كان من نقابة عمال بورسعيد فى العام ١٩٢٣ حيث كانت هذه النقابة تضم مصريين وأرمن!!

كما يذكر التاريخ.. أن عمال بورسعيد من خلال نقابتهم فى عامى ٤٨ و١٩٤٩ تصدوا للشركة الفرنسية، وطالبوا الإدارة بحقوقهم، التى حصلوا عليها بعد سلسلة من المصادمات العنيفة والإضرابات.. وانه فى عام ١٩٥١ كانت هناك حركة نشطة اسفرت عن مقاطعة السلع الأجنبية فى الميناء.

والمواطن البورسعيدى لا يهاب شيئاً.. يعلن رأيه فى جرأة وبساطة.. ذو حسن نابض بالمتغيرات السياسية، والدليل انه مع بداية عدوان عام ١٩٥٦، قام بحرق «العلم» الانجليزى، الأمر الذى آثار رئيسا وزراء انجلترا وفرنسا، فضلاً عن انه بعد عام ١٩٧٣.. والمدينة «خربة» عاد المواطن البورسعيدى «بشوق» واستطاع بشجاعة مواجهة دمار المدينة!!

التغيير.. لماذا؟

☐ أستاذ حسن: أى شخصية لها ظواهرها الفولكلورية.. فى شكل «تحية الصباح، الأفراح، مساعدة الغرباء» أى الوجه الإنسانى الآخر

للشخصية.. وكانت هنا فى بورسعيد عادات راسخة.. مثلاً فى تحية الصباح كانت «صباحين وحتة يابوص»! تغيرت الآن إلى «صباح الخير، بونجور، جود مورنج» بماذا تفسر هذا التغير. أو ذلك التراجع؟!

□□ يقول فى ثقة الباحث: لم تتراجع: ولم تتغير أى من سمات البورسعيدى، ولكن ما حدث، انها اتخذت شكلاً آخر، فى أغانينا أو عادتنا أو افراحنا حيث ارتبطت بالعصر الحالى.. مثلاً أغانى السمسية والبمبوطية.. فقد نشأت مع عمليات الحفر فى قناة السويس، حيث الليل الطويل المرهق، والشمس الحارقة، فهم أناس يريدون الترفيه عن النفس، وذلك من خلال الغنوة على آلاتهم الوترية البسيطة، ومع انتقال عمليات الحفر إلى الجنوب فى القنطرة، وفى اتجاه السويس، زحفت هذه الاغانى، وإذا كانت الأغنية الفلكلورية - فى بورسعيد - غير مطورة، ففى الاسماعيلية اضاف عليها عمال الحفر (من الأقصر وقنا) الذين كانوا يحتفظون باغانيهم، بعض كلماتهم، فحدث الخلط واللهجات الصعيدية فى الأغنية وأؤكد انه من خلال قراءة دقيقة لأغانى السمسية، تبين انها متداولة بين بلاد العرب جميعاً!!

وهناك اغاني تسمى «الضمة» وهي التي يغنيها عدد من الناس، تبين من الدراسة الفلكلورية انها ليست بورسعيدية الأصل، إنما وافدة من «دمياط» وان كانت في الأصل «اندلسية»!! جاء بها البحارة العائدون من رحلة سفر شاقة ومتعبة، فعندما يصل إلي بر المدينة (دمياط) يستقبله أهله وعشيرته، منضمين في أغنية جماعية، ترحيب به، وحتى الآن نجد أن السمسمية والضمة مازالتا موجودتان، وإن كانتا قد طورتا، وأخذتا الشكل الحضرى (الكهرباء في السمسية مثل الجيتار)!!

كما أن هناك خاصية أخرى للشعب البورسعيدى، وهي ظاهرة لم اجدها في أي مدينة أخرى.. وهي أن اسماء الشوارع ترتبط بالدلتا.. ببساطة جداً نجد في حي العرب (شارع الدقهلية وشارع الجيزة وشارع دسوق) إلخ.. وذلك يؤكد ترابط المواطن البورسعيدى بأمنا العزيزة مصر، وباسماء محافظاتها!!

وتأتي خصوصية الافراح البورسعيدية، فلماذا كانت لا تتسم بالفخامة الشديدة؛ إلا انها متميزة ومتمسكة بقاليد راسخة مثل زفة العروس ونقوطها، وإن كانت النقوط من نصيب القادرين فقط!!

كما أن هناك ظاهرة أخرى.. وهى أن بورسعيد مدينة لا تنام.. لأنها مدينة ساحلية مرتبطة بالميناء.. لذلك نجد أن أى سفينة تدخل الميناء نهاراً.. أو ليلاً.. تجد من يتعامل معها.. فالشوارع مملوءة بالناس، والمحلات مفتوحة، وهذا «اللا نوم» يؤكد حرص البورسعيدى على مواجهة أى متغيرات اقتصادية، فمثلاً أى متغير أو كساد اقتصادى، لا يوقف البورسعيدى السعى عن الرزق، بل إنه يجد أشياء أخرى يتكسب منها.. من هنا نشأت كلمة «بمبوطى» وهى من أصل «بوت» و«بان» أى قارب الخشب.. التى تحولت وحرفت إلى «بمبوطى» أى الباحث عن الرزق فى البحر!

هذا - والحديث للأستاذ حسن أحمد - مازال البورسعيدى واثقاً من ذاته، والدليل على ذلك انه لا يتورع فى أن يقول رأيه بصراحة، محاولاً اثبات صحة هذا الرأى بالبراهين والدلائل من القديم والحديث على حد سواء، فهذه العادة لم تتغير وانها كانت قد أخذت شكلاً متطوراً.

تنشيط الذاكرة!

☐ قلت: فى اطار تنشيط الذاكرة.. وبحثاً عن مدلولات سياسية ذات طابع إنسانى.. استطاعت الشخصية البورسعيدية المصرية قلباً وقالباً أن

تنحت لنفسها موقعاً متميزاً على خريطة النضال المصرى.. أعوام ٥١، ٥٦، ٦٧، ١٩٧٣.. إذن ويوصفك من أبناء هذه المدينة، أوضح لنا هذه المدلولات من خلال مواقف إنسانية؟

□□ يقول: سأذكر «لوحات» تعيها ذاكرتى من النضال البورسعيدى:

- فى صبيحة يوم وقف إطلاق النار فى العام ١٩٥٦ وظهور القوات الغازية فى شوارع بورسعيد، كان الناس فى قمة التمرد على النظام، وظهر هذا اليوم تبدل الموقف تماماً، وأشهد الله والتاريخ فإننى لم أجد مواطناً واحداً «رخوا» بل إن اعصاب الناس كانت متوترة ومشدودة إلى أقصى درجة بينما لم نكن نعلم حقيقة الموقف، أين وصلت هذه القوات.. فلم تكن وسائل اتصال فهى مقطوعة والكهرباء مقطوعة، والمياه مقطوعة، وأذكر هنا أننا عرفنا أن «صاحب محل فراشة» يملك «ماكينة كهرباء» فذهبنا إليه فوجدنا قد أوصل «الراديو» على ماكينته ومفتوح على «محطة القاهرة» فتجمهر الناس بالمئات يسمعون صوت القاهرة وهو يعلن «الله أكبر» فى عصر هذا اليوم كانت المقاومة قد اشتدت، وجعلت الناس

أكثر التهاباً، هذا في الوقت الذى لم نكن ندرى فيه متى نأكل، بل ومن أين نأكل؟!

- الملاحظة الثانية: أن المقاومة بدأت تأخذ شكلاً جديداً بعد أيام قليلة، طلبنا السماح للصيادين بصيد السمك من بحيرة المنزلة، حيث كانت فرصة لادخال السلاح إلى بورسعيد، مع عناصر جديدة للمقاومة «أبو نار - جلال غريب - كمال رفعت» وأسماء كثيرة لا يستطيع الإنسان نسيان دورها البطولى.

- وأذكر هنا كتاب قرأته لصحفى بلچيكى كان مرافقاً للقوات الغازية في العام ١٩٥٦ قال فى مذكراته «ظلت الطائرة تحوم حول موقع الهجرة لفترة كبيرة ووجدنا مياها من كل ناحية وكان هناك تردد فى الهبوط وعاد الطيار ليغير زاوية دورانه وإذا بنيران تخرج من الأرض وتسلط علينا من كل اتجاه! وعندما هبطنا، كانت الخسائر فى القوات هائلة، وفى نفس الوقت طلبت القوات البريطانية الهدنة، وكان هذا اليوم.. يوم الاثنين»!!

- الملاحظة الثالثة: ذلك الالتحام التام بين الشعب والشرطة والقوات المسلحة، وأذكر فى ذلك الدور الكبير الذى

لعبته سيدات بورسعيد، اللاتى أخفين الفدائيين امن غدر قوات الاحتلال.

□ وماذا عن ملحمة أكتوبر؟

□□ الصورة متباينة بعض الشيء، ففى العام ١٩٦٧ ضربت السويس ومن بعدها الاسماعيلية إضافة إلى بورسعيد وإن كانت فى مواقع متطرفة وكانت الخسائر محدودة في وابور المياه.. كان ذلك «٦٧ - ٦٨» وفى العام ١٩٦٩ تم تهجير المدينة «النساء والعجائز» وكانت أبرز مواقع التهجير في دمياط ورأس البر والدقهلية وبقى الرجال فى حالة صمود رائع وتماسك قل أن يوجد سوى فى الملاحم، وفى العام ١٩٧٣ كان الأحرار من جنودنا البواسل بشكل لا يتصوره إنسان فى هذه الدنيا، وفى المنفذ الغربى، رأينا القوات الإسرائيلية التى ضربت كوبرى الرسوة، وقطعت مياه ترعة الاسماعيلية الموصلة لبورسعيد، وكان المواطنون يجلبون المياه بالقوارب عبر بحيرة المنزلة، لكن اليهود لم يستطيعوا الاقتراب من المدينة أو غزوها، بل إن قواتنا دخلت شمال سيناء.

وعندما زرت وزملائى «رأس العش» والتى احتلتها القوات المصرية بعد معركة شرسة، أثبت فيها الجندى المصرى قدرته

على القتال وانتزاع الحق، حينذاك سألت الضابط الذى اقتحم رأس العش سؤالاً محدداً: ألم تخف؟ قال: آخاف من ماذا! لقد اندفعت ولم أشعر بالخوف مطلقاً.

كما شاهدت بعينى «قطع اللحم الإنسانى» الملتصقة بالدبابات.. أى بسالة هذه التى لا تعرف خوفاً أو تردداً، مادامت المسألة متعلقة «بحق أصيل»!

وفى اليوم ٦ أكتوبر واسمح لى بعودة إلى هذا اليوم التاريخى الفذ على صعيد التاريخ العربى كله: عرفنا بالمعركة.. لكن؟

☐ **لكن ماذا؟**

☐☐ شعرنا بحذر غير عادى!! إلى أن أعلن أن قواتنا المسلحة «عبرت» ساعتها عرفنا أن ساعة الاقتحام قد حانت!! بل إنها تمت بنجاح. الأمر الذى أدركنا معه أن الجندى المصرى، قد كتب بدمه وثيقة النصر، وغسل عار لم يرتكبه!!

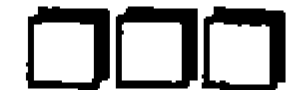
الملمح الإنسانى للاستنزاف!

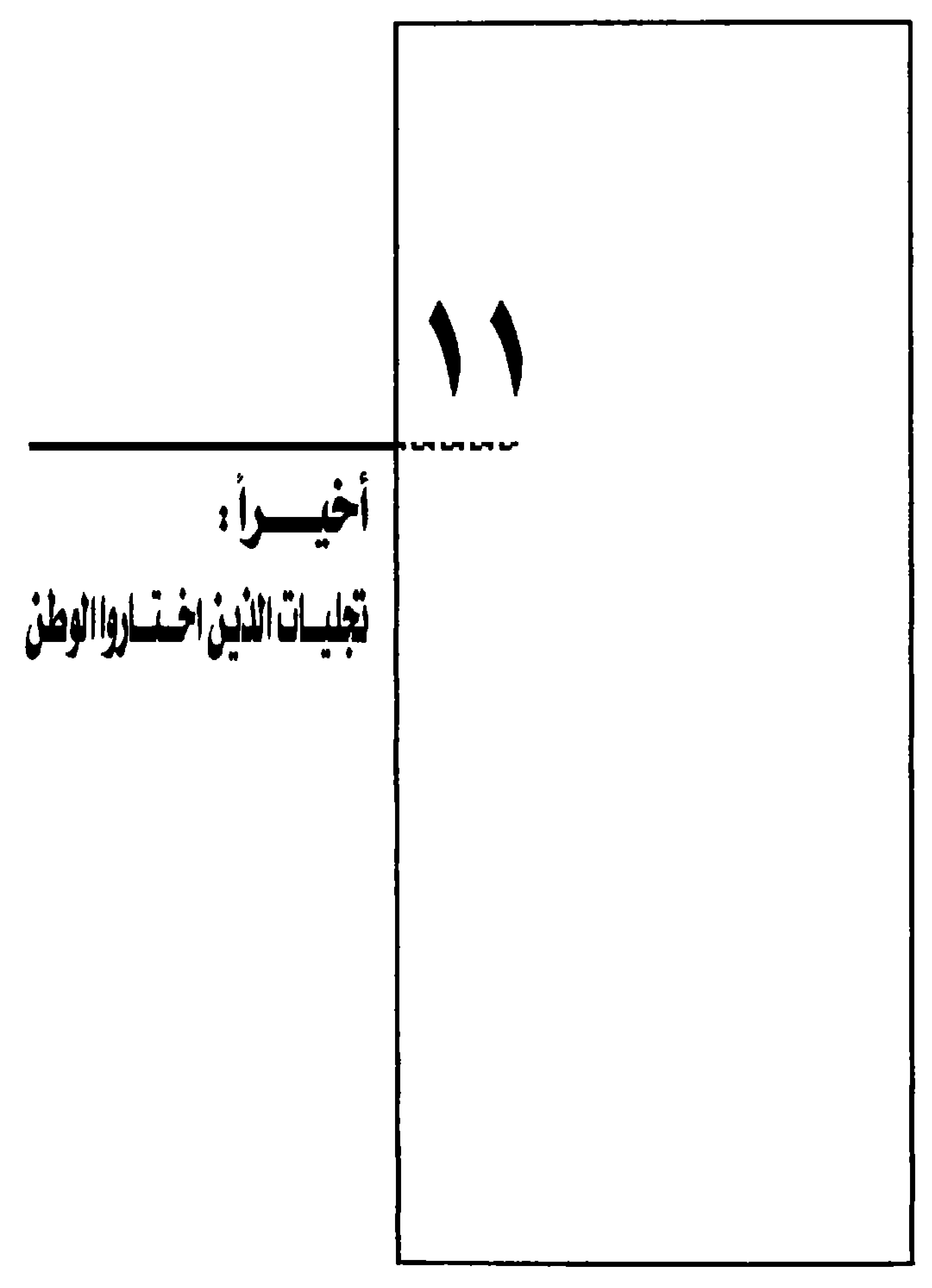
☐ **أستاذ حسن: ما الملمح الإنساني لسنوات الاستنزاف الست «٦٧ - ٧٣» فى بورسعيد خاصة فيما يتعلق بالمواطنين العاديين؟**

□□ يقول: فى شوارع بورسعيد، كنت من النادر أن ترى «سيدة» الجميع رجال، أما بالملابس الكاكى، أو الملابس المدنية، أما السيدات القليلات اللاتى كن موجودات - هنا - كن ممرضات المستشفيات!

كنت ترى ارتباطاً وحنيناً شديداً بين المكان والناس! فنجد أن المواطن البورسعيدى يحييك دون سابق معرفة، ولكن الترابط وحنين الناس مع بعضهم، كان أشد تماسكاً وترابطاً.. ذلك فضلاً على لهفة الناس على بعضها البعض، ويتجلى ذلك فى السؤال الدائم عن الذى يتأخر عن العودة، والبحث عنه، إلى أن يتم الاطمئنان عليه.

لكن الذى لا أنساه.. يوم أن ألغيت تصاريح دخول بورسعيد فى العام ١٩٧٤.. ذلك المهرجان الكبير، والتدافع الشديد من الناس للعودة، عربات تجرها الخيول تملأ بالناس، والأشد إنسانية ذلك الشيخ.





١١

أخيـــراً :
تجليـات الذين اخـتـاروا الوطن

فى الساعة الثانية وخمس دقائق من ظهيرة السادس من أكتوبر ١٩٧٣ تدافع المصريون كالسيل ، بعد أن طش القرن» ليعلن انتهاء «السنين الست الحبلى بالانتظار» تدافعوا إلى الشاطىء الشرقى لقناة السويس ، ليحققوا مقولة كنا نغنيها «الشمس فوق سيناء يطلعها البشر» !

التدافع تلو التدافع

والموجة تلو الموجة

والله أكبر .. والعلم المثبت على جدار الزمن يعلن فى تحد:

لم نتجرع الهزيمة ، ولم ينخز عظامنا اليأس ، لقد رفضنا فى التاسع والعاشر من يونيو ١٩٦٧ ، الاستسلام وقلنا .

لا للهزيمة ، ونعم للصمود» لقد كان إعلانا واضحا للدنيا كلها «هانحارب» .

عبر المصريون ، وهم يتفحصون وجوههم فى رمال سيناء، وهم يقرأون فى فرح أبجدية الاقتحام ، وهم يتلون سطور ملحمة آلامهم تحت شمس أحجار الياقوت .. لقد اكتشفت مصر صوتها فى رصاص مقاتليها .

الله أكبر .

إن إعلان الثانية والربع ، من راديو القاهرة ، كان إيذانا بفصل جديد من كتاب الحرب ، في الدورة الرابعة للمواجهة العربية الإسرائيلية وان «فصل الختام» في الرابعة و٦ دقائق عصر ٦ أكتوبر حين أعلن الناطق العسكري «بثقة وبصدق» العبور .

وكانت الرحلة في بطن الزمن !

كانت في رحلة السنين الست الحبلى بالانتظار !

هذا السطر الحاسم في مقدمة بيان المواجهة في الثانية والربع من ظهيرة السادس من أكتوبر ، كان قد سبقه فصول مهمة من كتاب البشر على شط القناة البالغ حوالى المائتي كيلومتر، حيث صنعت ملحمة ، أطلقنا عليها «تراجيديا الإنسان المصري» في صراعه مع البيئة والغازي» حيث بدأ الحرف الأول في كتاب البشر ، في الخامس والعشرين من ابريل ١٨٥٩ عندما ساقوا ١٢٥ ألفا من المصريين «سخرة» لحفر القناة» ، هذا في الوقت الذي رفض فيه «الغازي» أن يسلم بأن الأرض مصرية والدم الذي سال مصري ، والعرق مصري، والدموع التي روت الشهداء كانت مصرية خالصة !

والرحلة فى ناس شط القناة ، بمدنهـا الثـلاث ، تمثل تجانسا وتداخلا وتدافقا فى طبيعة تركيبة الشخصية وطبيعة ماقدموه من نضال صاغوا به تجربتهم فى المقاومة التى تعتبر نموذجا خلافا فى تنمية عناصر المقاومة الذاتية .. ومن ثم :

لانستطيع أن نضع إصبع الإبهام ونشير التجربة بدأت من هنا فى السويس أو من بورسعيد لأن التاريخ سيحتج وسيتدخل لتصحيح هذا «اللوى» قائلا :

ولماذا لم تخرج من الإسماعيلية !

فالمدن الثلاث صاحبة تاريخ مشترك ، وسمات مشتركة ورؤى مشتركة .

وكانت السنوات الحبلى المنتظرة المواجهة الحقيقية بين العرب وإسرائيل ، لم تكن فى الواقع سنين ٦٧ إلى ١٩٧٣ إنما التجربة النضالية كانت قد بدأت فى بورسعيد فى الأعوام ٥١ ، ٥٢ ، ١٩٥٦ .. وصولا إلى الخامس من يونيو الحزين فى العام ١٩٦٧ مقاومة عنيفة تضحيات بالغة تعطينا حق التسمية .. إنهم مواطنون اختاروا الوطن !!

وفى الإسماعيلية كانت المواجهة الحامسة فى العام ٥١ ، ٥٢ حين اشتركت قوات الشعب مع البوليس فى مواجهة

الانجليز وتواصل زحف الإرادة إلى العام ٥٦ فالعام ١٩٦٧ .. وفى السويس تعلن أحداث كفر أحمد عبده ، تلك القرية الصغيرة جدا التى قاومت جحافل الانجليز ، فأحرقوها عن آخرها !

وتمتد المقاومة إلى العام ٥٢ فالعام ٥٦ ثم يونيو الحزين !!

إذن :

فالخاصية هنا واحدة ، والسمات مشتركة ، تبرز فى تلك المقاومة ورفض اشكال الاحتلال المختلفة ، ومن ثم الانحياز الواضح إلى الوطن ، لأن المواطنين هنا فى - شط القناة - وجدوا أنفسهم وسط معارك تدور سواء بإرادتهم أو بغير إرادتهم وقد أدت هذه الأحداث بطبيعة الحال إلى صمودهم ونضالهم وقوة تحملهم كل ذلك أدى إلى إيجاد روح المقاومة ، الرافضة للأستكانة ، من خلال الحركة الديناميكية فى عمليات المواجهة اليومية والحياتية .

ولأن تاريخ شط القناة المقروء يبدأ مع ضرب أول معول فى شق القناة صباح ٢٥ ابريل ١٨٥٩ لذلك فقد انصهرت النوعيات المختلفة للبشر التى استقدمت للمشاركة

فى أعمال الحرب ، وأصبحت شخصية أبناء هذه المنطقة ذات معالم حفرتها سنين الغربة والليالى الطويلة ، والعرق ، والدمع ، والدم كما فرضت طبيعة البيئة الفقيرة ، والبحر ، فضلا عن الصراع مع الأجانب على هذه الشخصية التفرد بخصائص وسمات جعلت منهم مواطنين قادرين على مواجهة ظروف الحياة فضلا عن التنافس مع الأجنبى القابع على أرضهم .

ويأتى ٥ يونيو .. فى الصباح علق الناس الورود على رقاب المدافع فى السويس ، حالمين بمواجهة حاسمة مع اليهود، مأخوذين بالتصريحات العالية النبرة ، لكن فى الظهيرة كان الموقف مغايرا فصورة الهزيمة واضحة المعالم ، إذن كان عليهم الاختيار مابين استسلام ولطم للخدود أو رباطة جأش ليسيروا فى طريق المقاومة !

هنا تدخل السنوات الست بتفصيلاتها اليومية والحياتية لتشكل لوحة الإنسان المقاوم والمقاتل والمستبسل والصامد حتى وصلوا وتواصلوا مع ملمح مهم :

«الكل فى واحد» .

ويبدو أنه على «هذه الأرض مايستحق» فقد كانت الروح سارية فى أبدان الناس . . فصاروا «الكل فى واحد» .

وإعلان الخامس من يونيو «هزيمة» لم يكن فى الواقع نتيجة إخفاق عسكرى - فقط - لكنه كان نتيجة للصراع الدائر بين حركة التحرر العربى وبين الاستعمار العالمى لأن هذا النموذج الثورى «مصر» قد جذب كل القوى القومية والشعبية في الوطن العربى في تونس ومراكش والجزائر والعراق والكويت والأردن والسودان واليمن والجنوب العربى حيث سرى تيار ثورى تحررى ألهب شعوب المنطقة كلها ضد الاستعمار والاقطاع والاستغلال الاحتكارى ولم تلبث هذه القوى التحررية العربية المتزايدة فى النمو أن أسهمت وارتبطت بحركات التحرر الوطنى فى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ابتداء من باندونج ١٩٥٥ حتى مؤتمر القارات الثلاث فى هافانا ١٩٦٦ فغدت بذلك عنصرا رئيسيا من عناصر الحركة التحررية الطوفانية التى كانت تهدد بإغراق الإمبريالية واحتكاراتها ومستعمراتها فى كل أنحاء العالم لذلك فإن ٥ يونيو لم يكن صراعا مصريا إسرائيليا فحسب بل كان تناقضا عربيا تحرريا صهيونيا استعماريا !!

ولايمكن لأى شعب كان .. منى بهزيمة ، وانكسر جيشه ، ومع ذلك يغنى ويعبىء نفسه ، ويكتب الشعر !

ولم يحدث فى التاريخ أن تثاقل عبء الزمن على منتصر فى معركة عسكرية وتحقق فيها بعض الكسب للمهزوم .. مثلما حدث فى يونيو .. ففى العاشر من يونيو ١٩٦٧ جلس موشى ديان «منتشيا» بخمرة النصر أمام مراسلى الصحف فى القدس المحتلة يعلن لهم وهو يضع يده على سماعة التليفون «إننى أنتظر بين لحظة وأخرى تليفونا من العرب بالاستسلام لشروطنا» !

ولم يحدث بالطبع أن حدث الاستسلام ، لأن هناك شعبا وبلدا على خريطة العرب اسمها «مصر» كانت تجهز نفسها للمعركة وشعبها يغنى لها ويكتب أشعارا وقصصا يقدم مسرحا ملتزما بقضايا التحرر يحارب معركة الاستنزاف ، الأمر الذى جعل ديان نفسه يلقى خطابا فى تل أبيب فى ١٢ مايو ١٩٦٩ يقول فيه :

إننا يجب أن نصمد فى مواجهة الضغط الحالى والخسائر اليومية حتى لو استمر ذلك عدة سنوات !!

☐ ماذا حدث إذن فى مساحة الزمن الواقعة بين نصر مزهو - لكنه ناقص لعدم الاستسلام - وجزء من الأستنزاف فى العام التاسع والستين ؟!

□□ يعنى من ناحية أن «المنتصر» الذى كان يتوقع الاستسلام الفورى غداة يونيو ، صار يشكو من الضغط والخسائر اليومية ، ويناقش مدى امكانياته لاحتمالها فترة مقبلة من السنين ، تمتد فى تقديرة إلى خمس عشرة سنة.

ويعنى من ناحية ثانية أن «المهزوم» قد استطاع أن يمارس ضغطا على العدو ويلحق به خسائر يومية لايسعف الزمن العدو على احتمالها حسب تقديره إلاَّ فى حدود خمس عشرة سنة !

إذن .. فحركة الزمن تتجه إلى غير صالح إسرائيل وبالتالى أصبح الزمن موضوعيا عبئا عليها وكانت هذه حقيقة موضوعية من حقائق الموقف آنذاك .

والزمن حبلى بالسنين الست !

فإن هناك حقيقة مدهشة تقول: إن الوجدان العربى كان يفور الشعور منه ، بأن الهزيمة لم تنزل «بساحتنا» إلا أمس فقط «!!» ومع ذلك فإن الحقيقة التاريخية بنت الواقع ، تؤكد بحساب دورة الزمن أنه قد مضى على الهزيمة ست سنوات بالتمام والكمال !

هذه الحقيقة التى تبدو متناقضة هزيمة مر عليها سنوات ست كأنها لم تنزل إلا أمس كان من إيجابياتها وظواهرها على «ناس شط القناة» أن الهزيمة بكل ثقلها لم تستطع أن تستوعب الإنسان العربى فى قالبها أو تستأنسه لواقعها وقيودها ، وذلك بالرغم من تعدد وتراكم محاولات الاستيعاب والاستئناس !!

ونؤكد المدهش أن الهزيمة · سيولوجيا – والتى كانت طعام العلقم اليومى للإنسان العربى الذى كان ينام ويصحو مع الهزيمة تحت سقف واحد لكنه لم يقبلها، كان يعانى مرارتها ومهانتها وامتصاصها لعرقه لكنه كان يتكبر عليها ويرفضها وهذا هو المصدر الجوهرى - وربما الخفى – للصمود والمقاومة بمعنى أن المقاومة المتنامية ذاتيا هى الوجه الآخر للهزيمة نفسها، لذلك فإن الإنسان العربى بخوضه معركة التحرير الشاملة لم يكن يسعى لتحرير وطنه فحسب بل ويحرر فى الوقت ذاته .. ويعمل على استردادها غير مهانة، ويحرر طاقاته المقيدة ، ليواصل مشوار بنائه لمستقبله.

السنون الست الحبلى تنتظر «الفرج» !

والاقتراب من لحظة المواجهة على الأبواب !

وفجأة ، وكما يقول الريفيون فى قريتنا «القرن طش» دلالة على وصول المولود وخروجه إلى الحياة ليؤكد حقيقة «الميلاد» كان ذلك فى الساعة الثانية وخمس دقائق أو كما يقولون بلغة العسكرية الساعة ١٤٠٥ من يوم السبت السادس من أكتوبر ١٩٧٣ حيث زفت البشرى إلينا «المواجهة» !!

وانطلق الجميع يقولون :

«الله أكبر» .

انطلق السطر الأول فى حسم تراجيديا الإنسان ليس على شط القناة بل على خريطة العرب كلها ، كان فى الساعة الثانية و١٠ دقيقة من خلال البيان العسكرى الأول الذى قال للدنيا كلها آن ساعة الخلاص قد حانت وأن المواجهة قد تمت وأن ماتبختر به ديان فى العاشر من يونيو ١٩٦٧ كان خرافة !

وكان السطر الخامس الذى أذيع فى الساعة الرابعة و٦ دقائق قد حمل «صياغة حاسمة» بأن فصل الختام قد تم «فعلا» !!

وأن السنين الحبلى بآلام الأيام وعرق الليالى قد أخرجت مولودا صحيح البدن إلى الحياة .. قال البيان :

«نجحت قواتنا المسلحة فى أقتحام قناة السويس فى قطاعات عديدة واستولت على نقط العدو القوية بها ، ورفع علم مصر على الضفة الشرقية للقناة» !!

وقبل أن يفيق الناس من «دوخة الفرحة» خاصة - المرابطين على شط القناة كان السطر السابع الذى أذيع فى الساعة السابعة و٣٥ دقيقة من مساء ٦ أكتوبر ١٩٧٣ يؤكد لهم نصرهم الذى وعدهم الله به :

«نجحت قواتنا المسلحة فى عبور قناة السويس على طول الجبهة وتم الإستيلاء على معظم الشاطىء الشرقى للقناة وتواصل قواتنا حاليا قتالها مع العدو بنجاح ، كما قامت قواتنا البحرية بحماية الجانب الأيسر لقواتنا على ساحل البحر الأبيض المتوسط وقد قامت بضرب الأهداف المهمة للعدو على الساحل الشمالى لسيناء بإصابات مباشرة» .

وتواصلت السطور تكتب بالدم فصلاً جديداً من كتاب الحرب بين العرب وإسرائيل فى مواجهة شرسة اكتشف من خلالها أبناء الشعب العربى فى مصر زيف أسطورة الجيش الذى لايهزم !!

كانوا مجرد محاربين لا تعرف إن كانوا رجالا أو نساء !!

هكذا قال جنودنا المصريون فالعسكرية العربية تعنى «الضبط والربط» لكنهم شاهدوا عدوهم بشعور طويلة مسدلة على رؤوسهم !

وكانت الصيحة :

الله أكبر .

وكانت الفرحة :

الله أكبر .

وكانت المواجهة التى تأخرت من أيام الصليبيين ، تقول فى مقدمة السطور :

الله أكبر .

☐ هنا يبرز تساؤل عريض :

ماذا حققت المفاجأة الأكتوبرية على ساحة الإنسان العربى بشكل عام والإنسان المصرى بشكل خاص ومن ثم وعلى وجه الخصوص إنسان شط القناة الذى عاش «مخاض» السنين لا يعرف متى تنتهى ومتى يخرج المولود إلى حيز الحياة الرحب والواسع ؟!

☐☐ لقد أصبح من الثابت أن ماتم اقتحامه فى السادس من أكتوبر لم يكن فقط خط بارليف المنيع واستحكاماته وما

نسجته حوله آلة الحرب الإسرائيلية من أساطير قد تهاوى هذا الجدار السميك العازل الذى أقامته ودعمته الثقة بالنفس وغلبة الشعور بالتدنى فى مواجهة التقدم الحضارى والتكنولوجى الإسرائيلى» !

كما أن النتائج الباهرة التى تمخضت عنها الساعات الأولى للحرب أكدت إنه لاشىء اسمه «المستحيل» فى «وجه التخطيط الملائم والحشد الهائل للامكانات» !

لا نبالغ إذا قلنا أنه لأول مرة منذ زمن طويل فى تاريخ العرب الحديث يتوحد شعور العرب من المحيط إلى الخليج ، بشعور حقيقى وعاطفة صادقة من التضامن والإخاء .

كما تبرز من سنين المعاناة والخندق وانقطاع الكهرباء والمياه والطعام الشحيح والغارات المستمرة على شط القناة عددمن الحقائق :

١ - لقد علمت سنين الحرب المواطن العادى «السياسة» بشكل مكثف ذلك أن هؤلاء البسطاء الذين التقيت بهم فى مدن شط القناة وقراها خاصة الفلاحين والعمال نشأوا وتربوا على التعلق بحب التراب الوطنى وربطوا بين هذا الحب وبين قيم الشرف والكرامة كما يمارسونها فى حياتهم وعندما

تعرض الوطن لخطر بعد ٥ يونيو أصبحت هذه القصة هي مفردات حياتهم اليومية .

«وعظم ولادنا نلمه .. نلمه ، ونعمل منه مدافع ، وندافع ، ونجيب النصر ، هدية لمصر ، تكتب عليه أسامينا» !!

٢ - مرت مصر بلحظات حرجة ، بل وهائلة ، ولم يكن من الميسور تجاوزها ، لولا يقظة البسطاء وضح ذلك جليا من هبة الناس للدفاع عن بقاء النظام الذى اقامته ثورة يوليو ورفضها الهزيمة فى صورة رفضها تنحى جمال عبد الناصر في التاسع والعاشر من يونيو ١٩٦٧ .

٣ - إن العطاء الكبير الذى قدمه ناس شط القناة - وهم كتيبة متقدمة من الشعب العربى فى مصر - كان على مستوى الوعى السياسى العالى النبرة ، برز ذلك فى التطوع والمقاومة الشعبية فضلا عن عدم التفريط فى أرض القناة بالهجرة منها بل لقد هجروا أطفالهم ونساءهم وبقوا حارسين لهذه الأرض انتظارا لساعة الخلاص .

٤ - ثبت أن «ناس شط القناة» شكلوا فى مجملهم بطولة جماعية لم يزعم أحد أنه صاحب الفضل في إيقاف دبابة أو أنه صاحب الطلقة الأولى فى ملحمة ٢٤ أكتوبر فى السويس على سبيل المثال لقد قالوا :

«لقد كان فرح عمدة» !!

بمعنى النيـران من كل جـانب لم ينسب أحـد لنفـسـه «البطولة» لقد كانوا «الكل فى واحد» فرسموا صورة شديدة الإخـلاص فى التـفـانى والذوبان وإنكار الذات ، لقـد كـانوا مواطنين اختاروا الوطن .

٥ - أفرزت معارك أكتوبر بعدا بشريا جديدا فى القوات المسلحـة المصرية إذ أن الجندى الإسـرائيلى المتعلم «كوهين» واجـه جنديا جديدا متـعلما «مـحـمدين» ابن القرية المصـرية الذى صـار على مسـتواه التكنيكى والثقـافى مزدوا بزخـيرة جديدة «الله أكبـر» ولديه صـلابة روحـيـة وقـتـاليـة منبثـقـة من إرادته فى تحرير أرضـه وكان وجود ١٨٢ ألف جندى مصرى من أصـحـاب المؤهلات العلميـة ينتمـون إلى أربعة آلاف قـرية سـببـا جـوهريا فى مـد الجـسـور الاجـتمـاعـيـة بـين الجـيش والشعب وبحسبة بسيطـة صـار لكل قرية مصريـة ٣٦ مقاتلا مثقفاً !

فضلا عن أبنائها العاملين بالجيش أصلا !!

بقى أن نقول إن مصـر الأكتوبرية انطلقت إلى الحـياة - بناسـهـا - من خلال المعاناة المريرة والعميقة لهزيمة ١٩٦٧

وهى معاناة استمدت خبراتها وطاقاتها من تراث التاريخ النضالى والثورى للشعب المصرى على مدى أجيال متصلة وكذلك من جهد الآلاف المقاتلين الذين ارتفعت مهاراتهم القتالية من خلال التدريب العالى الكفاءة واستيعابهم لتكنولوجيا العصر بمعنى أنه إذا كانت معارك أكتوبر قد تولدت تخطيطا وتنفيذا فى عام ١٩٧٣ فإن مصر ظلت حبلى بها أكثر من ست سنوات وذلك منذ أن أصر الشعب المثخن بالجراح وسط الظلمة الحالكة على مقاومة هزيمة ١٩٦٧ واستطاع بصموده وعرقه وتضحياته وزهرة شبابه أن يخصب قواته المسلحة .

أنها ببساطة كانت قضية «عبور وطن وشعب» وكما يقول أحمد عبدالمعطى حجازى .

إنه الوطن

لست أنت .. ولست أنا

إنه وطن

شجرة ودم ونجوم



ظل منتظرا فى غيوم كآبته

حاملا جرحه المتفتح

عاما وعاما وعاما

□□□

فرأيناه قام بمفرده

عابرا برزخ الموت

ينفض عن كتفيه الصواعق

مبتسما للمصير الذى يتراءى له

ونحن نتابعه ذاهلين

لقد قام

قولوا إذن معجزة

لا .. ولكنه وطن !

□□□

حقا .. هو الوطن .. وهم الذين حولوه من مجرد كلمة خماسية الحروف إلى معنى ، فألف ألف زهرة على أرواح الشهداء .. وألف ألف قبلة على جبين البسطاء الأحياء على شط القناة .

مراجعات

١ - السويس .

٢ - السويس «قلعة وتاريخ» .

٣ - بورسعيد «الماضى والحاضر والمستقبل» .

٤ - بورسعيد عام من الإنجازات .

٥ - مقبرة الغزاة «بورسعيد» .

٦ - ٥ يونيو .. الحقيقة والمستقبل .

٧ - الساعة ٥ . ١٤ .

٨ - حرب أكتوبر فى الإعلام العالمى .

٩ - السياسة الدولية .. العدد «٣٥» يناير ١٩٧٤ .

١٠ - السياسة الدولية .. العدد «٥٢» ابريل ١٩٧٨ .

١١ - الطليعة - العدد «١٢» ١٩٧٣ .

١٢ - الطليعة أعداد ٢ ، ٥ ، ٨ ، ١٠ عام ١٩٧٤ .

١٣ - تراجيديا الإنسان المصرى على شط القناة «شهادات» .

الفهرس

روايات الهلال

عطر البرتقال الأخضر

رواية جديدة

للكاتب والأديب الكبير

د. شريف حتاتة

تصدر: ١٥ يوليو ٢٠٠٦م

رئيس مجلس الإدارة

عبدالقادر شهيب

رئيس التحرير

مجدى الدقاق

أحدث اصدارات كتب الهلال عامى ٢٠٠٥ ، ٢٠٠٦

اسم الكتاب	المؤلف	الشهر	السنة
صدمة الإنترنت وأزمة المثقفين	د.أحمد صالح	يوليه	٢٠٠٥
أحمد حسنين أسرار السياسة والحب	محمود صلاح	أغسطس	٢٠٠٥
مصر والإصلاح السياسى	د.يونان لبيب رزق	سبتمبر	٢٠٠٥
الإنسان والكون والحياة	رجائى عطية	أكتوبر	٢٠٠٥
حكاية الفن والنجوم	ألفريد فرج	نوفمبر	٢٠٠٥
بين موسكو وواشنطن	د.السيد أمين شلبى	ديسمبر	٢٠٠٥
مدائح جلطة المخ	حلمى سالم	يناير	٢٠٠٦
أدب الانشقاق	د. رمسيس عوض	فبراير	٢٠٠٦
اعترافات أدبية	لبنى عبدالمجيد	مارس	٢٠٠٦
الصين فى عيون المصريين	د . أنور عبد الملك	أبريل	٢٠٠٦
ثنائية الحياة والكتابة	خيرى منصور	مايو	٢٠٠٦
شهادات فى الفكر والسياسة	سليمان الحكيم	يونيه	٢٠٠٦

رقم الإيداع
٢٠٠٦/١٤٠٦٩
I. S. B. N
977 - 07 - 1208 - 6

عن الكاتب


محمد هيكل

- محمد هيكل كاتب وصحفى
- نائب رئيس تحرير وكالة أنباء الشرق الأوسط.
- مدير مكتب (أ.ش.أ) فى بغداد والخرطوم
- مدير تحرير صحيفة العالم اليوم «العدد الأسبوعى».
- له دراسات وكتابات منشورة فى مجلة الهلال وآفاق عربية وكل العرب والثقافة الجديدة والبيان بدبى ، والوطن الكويتية ، وعدد من الصحف المصرية والعربية.
- له كتاب تحت الطبع «سودانيون أحببتهم».

هـذا الكتاب

عندما تمضى أيها القارئ عبر صفحات هذا الكتاب سوف تجد أنك لاتقرأ مجرد كلمات .. وإنما آنت تعايش بشرا .. تعايشهم بمنتهى الحب والإكبار .. تسمع آصواتهم .. تشاركهم طعامهم .. ترافقهم فى يقظتهم وفي صحوهم .. تعيش فى داخلهم .. تتردد نبضات قلوبهم فى صدرك .. وتتحرك مشاعرهم مع تدفق الدماء فى عروقك .. ويتوحد إنسياب خواطرهم مع ما فى أفكارك .. وترتمي آحلامك فى أحضان أمانيك .. إنهم بشر توهجت إرادتهم فى رماد اليآس .. وانتفض إصرارهم وسط ركام الانكسار .. وآثروا مخاطر الصمود والتحدى على أمان الاستسلام فالأمان عندهم ليس شيئا ضد الخوف .. بل هو شئ ضد المهانة .. إنه الكبرياء .. إنهم «مواطنون اختاروا الوطن».



حكايات مسافر

للكاتب : حامد الشناوى



يصدر ٥ أغسطس ٢٠٠٦م

روايات مصرية للجيب



لا ترجمـــة لا اقتبـاس

لا تقليد تأليف مصرى ١٠٠ ٪

مائدة حافلة مشتهاة ، من أروع ما أبدعته أقلام الصفوة المتميزة من المؤلفين الشبان .